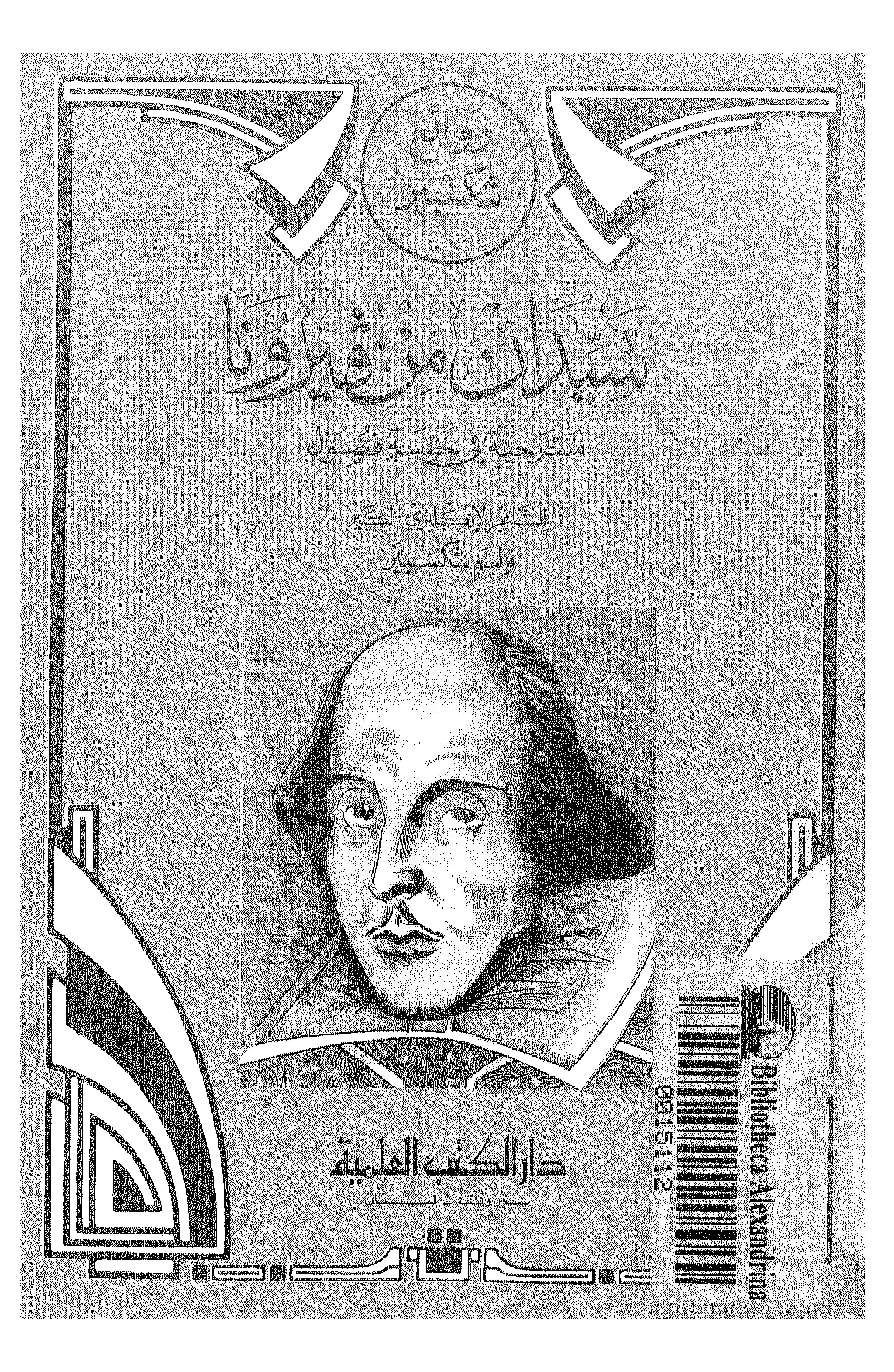

روائع شكسبير
سيدان من فيرونا
مسرحية في خمسة فصول
للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0015112

سيدان من فيرونا

مسرحية في خمسة فصول

للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ - ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن أبرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حِكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ،وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن أباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس في بلدته ستراتفورد ـ أون ـ آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آن هاتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أُخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هوليتشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات « مكبث » و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بلوتارك ، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضاف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فناً عالمياً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجموعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط » و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة » .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً.

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و« مكبث » و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريولينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني» و « خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتّاب من أمثال « دريدن » و « بوب » على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير . أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولريدج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين ، من أمثال « ت . س . اليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية وفي الأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . أما في الأدب العربي فقد تأثر به كثير من الأدباء ، وترجمت معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء الكرام أشهر مسرحيات شكسبير المعربة ، نتمنى أن يكون ذلك دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

أشخاص المسرحية

المشاهد : في فيرونا وميلانو وغابة بالقرب من ميلانو

دوق ميلان	: والد سيلفيا .
فالانتين	: السيدان .
بروتوس	:
أنطونيو	: والد بروتوس .
توريو	: منافس أحمق لفالانتين .
أغلامور	: وسيط سيلفيا في فرارها .
سبيد	: خادم مهرج لفالانتين .
لونس	: خادم مهرج لبروتوس .
بانتنو	: خادم أنطونيو

مضيف حيث تقيم جوليا .

قطاع طريق مع فالانتين .

جوليا	: حبيبة بروتوس .
سيلفيا	: حبيبة فالانتين .
لوسيتا	: وصيفة جوليا .

خدم وموسيقيون .

الفصل الأول

المشهد الأول

(فيرونا : شارع بالقرب من منزل جوليا ، أشجار وكرسي)

(فالانتين في لباس السفر : بروتوس)

فالانتين : توقف عن إغرائي ، يا عزيزي بروتوس ، فإن للشباب المقيم عقلاً بسيطاً دائماً . ولولا أن حبك يقيد أيامك السعيدة بنظرات محبوبتك العفيفة لفضلت التشبث برفقتك . لترى عجائب الدنيا في الخارج ، على أن تقيم في الوطن خاملاً كسولاً ، وتفني شبابك في تسكع لا نهاية له . . . ولكن ، ما دمت تهوى ، فدم على حبك وتمتع به ، فذلك ما كنت أصنع لو أني بدأت أحب .

بروتوس : أنويت الرحيل ؟ وداعاً إذاً يا عزيزي فالانتين واذكر صديقك بروتوس كلما رأيت شيئاً نادراً قيماً في رحلتك . . . وأطلب من الله أن أشاركك سعادتك كلما حدثت معك أحداث طيبة ، إذا قدّر الله وحاق بك الخطر ـ فاوكلْ أمره إلى

تضرعي ودعواتي فلسوف أقوم ، يا فالانتين ، نيابة عنك بالدعاء لك .

فالانتين : وعلى كتاب الحب فلتصلِّ لانتصاري .

بروتوس : سأصلي لأجلك على كتاب أحبه .

فالانتين : أي على رواية رقيقة لحب عميق ، رواية الفتى لياندر وكيف عبر الدردنيل .

بروتوس : بل إن رواية عميقة لحب أعمق لأنه كان متمادياً لا يتراجع .

فالانتين : هذا صحيح ، وأنت أيضاً تخوض عباب الحب وإن لم تعبر الدردنيل أبداً .

بروتوس : أخوض عباب الحب؟ لا تهزأ بي .

فالانتين : كلا ، لن أفعل ، لأن ذلك لن ينفعك .

بروتوس : ماذا ؟

فالانتين : لن ينفعك الحب شيئاً ، فما هو إلا ابتياع الاحتقار بالأنين ، والنظرات اللطيفة بتنهدات الفؤاد المتألم ، ولحظة نشوة زائلة بعشرات من الأمسيات كلها أرق وتعب وملل ، وإذا قدر للمحب أن يكسب فقد يكون كسبه مشؤوماً ، وإذا فشل في مسعاه فالعمل المتعب هو كل ما يخرج به . ومهما تكن الحال فالحب بلاهة تبتاع بالنباهة أو هو النباهة قد هزمتها البلاهة .

بروتوس : فأنت إذاً بحجتك هذه تجدني أبلـه.

فالانتين : أنت إذاً ستؤكد بأحوالك ـ فيما أخشى ـ صدق حجتي .

بروتوس : إن الذي تهزأ به هو الحب ، وما أنا بالحب .

فالانتين : الحب سيدك لأنه يستعبدك ، والمرء الذي يسترقه أحمق إلى هذا الحد ، أجد أنه غير أهل لأن يعد عاقلاً .

بروتوس : ومع ذلك فالأدباء يقولون : كما تعيش الديدان النهمة في أطيب الأكمام ، فإن الحب النهم يحيا على أحسن الفطن .

فالانتين : الأدباء يقولون أيضاً : كما أن البرعم النامي يأكله الدود قبل أن يتفتح ، كذلك الحال في الحب فإن النباهة الفتية السهلة تنقلب إلى بلاهة . إنه يعصف بالبرعم ويفقده نضارته أوان الشباب ، بل أوان التطلع الجميل إلى الأمل والمستقبل ، ولكن ما لي أضيع وقتي في النصح لك ، وأنت لمشيئتك التي تكلَف بها عبد مطيع ؟ الوداع ثانية ، فإن والدي في منتصف الطريق ينتظر مجيئي لكي يراني وأنا أبحر من هناك .

بروتوس : سأرافقك إلى هناك يا فالانتين .

فالانتين : كلا يا صديقي بروتوس فلنفترق الآن ، فإذا وصلت إلى ميلانو فدع رسائلك تخبرني عن نصرك في الحب ، وعما يحدث هنا من أخبار أثناء غياب صديقك . وأنا كذلك برسائلي .

بروتوس : فلتكن السعادة كل السعادة برفقتك في ميلانو .

فلانتين : وليكن لك مثلها في أرض الوطن . الوداع إذن .

(يتعانقان ويذهب فالانتين في طريقه)

بروتوس : إنه يعمل جاهداً وراء المجد وأنا أعمل بجهد وراء الحب ، إنه يغادر أصحابه ليزيدهم رفعة ، وأنا أدع نفسي وأصحابي ، وكل شيء في لأجل الحب والوداد وأنت يا جوليا ، لقد غيّرت أحوالي فجعلتني أهمل علومي ، وأضيع وقتي وأثور للمشورة الناصحة ، ولا آبه بالعالم إطلاقاً ، وأخمدت الذكاء بالذهول ، وأحزنت الفؤاد بالاضطراب والتفكير .

(سبيد يركض لاهثاً وهو يحمل حقيبة)

سبيد : سيدي بروتوس . . . رعاك الله . . . هل شاهدت سيدي ؟ .

بروتوس : ذهب الآن من هنا ليسافر إلى ميلانو .

سبيد : إذن أراهن ، واثقاً من الرهان ، أنه لا بد أن يكون قد سافر بالفعل ، فأصبحت من بعده كالنعجة التائهة .

بروتوس : حقاً إن النعجة لتضيع كلما بعد عنها الراعي لحظة .

سبيد : إذن أنت تستخلص من هذا أن سيدي راع وأنني نعجة .

بروتوس : نعم .

سبيد : لماذا إذاً يكون كل ما لي من قرون أداة أنفخ فيها . وقرونه أيضاً كذلك في كل وقت .

بروتوس : إجابة سخيفة ، تلائم سخف النعجة كل الملاءمة .

سبيد : وهذا يؤكد أنني ما زلت نعجة .

بروتوس : صحيح . . . وسيدك الراعي .

سبيد : كلا ، وأنا أستطيع أن أرد ذلك بالحجة .

بروتوس : سيكون الأمر صعباً ولكني سأجابه الحجة بالحجة .

سبيد : إن الراعي يفتش عن النعجة ، ولكن النعجة لا تفتش عن الراعي ، وأنا أفتش

عن سيدي وسيدي لا يفتش عني ، ولذلك فأنا لست نعجة .

بروتوس : إن النعجة تفتش عن الراعي من أجل أكلها ، والراعي لا يفتش عن النعجة من أجل أكله . وأنت تفتش عن سيدك من أجل الراتب ، وسّيدك لا يفتش عنك من أجل الراتب . . . ولذلك فأنت نعجة .

سبيد : إن حجة آخرى كهذه ستجعل مني « ماء » .

بروتوس : ولكن رويداً هل أعطيت رسالتي إلى جوليا ؟ .

سبيد : نعم يا سيدي ، أنا الكبش التائه ، سلمت رسالتك إليها ، وهي النعجة ذات الصدار الموشى ، وهي ـ ذات الصدار الموشى ـ لم تعطني شيئاً أنا الكبش التائه في مقابل ما فعلته .

بروتوس : المرعى والحال هذه صغير جداً ويضيق بمثل هذا القطيع من الخراف .

سبيد : إذاً ضاقت الأرض بمن عليها فالأحرى بك أن تعلق النعجة .

بروتوس : كلا ، فأنت في هذا حيوان تائه ، والأحسن لك أن تحبس في حظيرة .

سبيد : كلا يا سيدي ، إن أنقص من « ليرة » تكفيني لحمل رسالتك .

بروتوس : أنت مخطىء لم أقل « ليرة » ، إنما قصدت حظيرة الحيوانات التائهة .

سبيد : من « ليرة » إلى حظيرة حيوانات تائهة فاطْوِهَا مرة ومرة . فإنها ثلاث مرات أقل مما أستحقه على حمل رسالتك إلى حبيبتك .

بروتوس : ولكن ماذا قالت ؟ .

(سبيد يهز برأسه)

سبيد : هزت رأسها ؟ أجل .

بروتوس : هزت رأسها ، نعم ، ولكن هذا حمق وغباء .

سبيد : لقد جانبت الحق يا سيدي ، لقد قلت : إنها هزت رأسها ، وأنت تسألني : هل هزت رأسها ؟ وأنا أرد : أجل .

بروتوس : إن هزة وهزة لا تؤدي إلا إلى الخفة .

سبيد : والآن وقد بذلت عناء في تركيب الجملة وجمع الهزات بعضها إلى بعض فخذ ما تشير إليه مقابل تعبك .

بروتوس : لا . لا . ستكون لك أنت مقابل حملك

هذه الرسالة .

سبيد : أما والحال كذلك فإني أشعر أنني لا بد أن أقنع باحتمالك .

بروتوس : ويلك يا هذا وكيف تحتملني ؟ .

سبيد : طبعاً يا سيدي ، لقد سلمت الرسالة ولم أحـظ بشيء على عملي غير لفظ من قبيل الغباء أو الحماقة .

بروتوس : تسبني بنعومة ، ولكنك سريع البديهة .

سبيد : ومع ذلك فإن بديهتي السريعة لا تستطيع اللحاق بكيس مالك البطيء .

بروتوس : تعالَ ، تعالَ ، ادخل في الموضوع باختصار ، ماذا قالت ؟ .

سبيد : أدخل يدك في كيسك أولاً حتى تسلم المال والموضوع كليهما معاً .

بروتوس : سأفعل يا سيدي . . . (يناوله قطعة نقد) خذ هذه مقابل عملك . . . ماذا قالت ؟ .

سبيد : (يفحص قطعة النقد باحتقار) الواقع يا سيدي ، أعتقد أنك لن تحظى بها .

بروتوس : لماذا ؟ وهل استطعت أن تصل إلى هذه النتيجة منها ؟ .

سبيد : يا سيدي ، إنني لم أتمكن أن أصل إلى شيء منها على الإطلاق ، كلا ولا حتى قرش واحد في مقابل تسليم الرسالة إليها ، ولما كانت بخيلة معي أنا الذي حملت رسالتك إليها ، فإنني أخاف أن تكون كذلك شديدة الشحّ معك . فلن تقول لك ما تحب سماعه منها . فلا تقدم إليها دليلاً على ودادك إلا أحجاراً ، لأنها قاسية قساوة الفولاذ .

بروتوس : ماذا؟ ألم تقل شيئاً ؟ .

سبيد : (بجفاء) لا . ولا حتى « خذ هذا مقابل جدّك » وأنا ، اعترافاً بسخائك ، أشكرك . فلقد منحتني هذه القطعة من النقد ، جزاء عملي ، وعليك منذ الآن أن توصل رسائلك بنفسك ، وعلى ذلك ، يا سيدي ، فسوف أذكرك بالخير عند مولاي .

(يسير متبختراً متعالياً)

بروتوس : (في غضب) اذهب ، اذهب ، اذهب لتخلص سفينتك من التلف ، إنها لن تغرق وأنت عليها ، لأنه كُتب عليك أن تموت ميتة جافة على الساحل . لا بالقتيل

ولا بالغريق . يجب أن أذهب وأرسل رسولاً أفضل . إذ أخاف أن تكون جوليا لم تأبه برسالتي لأنها تسلمتها من مثل هذا الرسول التافه .

(يخرج)

المشهد الثاني

(الباب يفتح وتخرج منه جوليا ولوسيتا)

جوليا : ولكن تكلمي ، يا لوسيتا ، فنحن الآن لوحدنا أتشيرين عليّ إذاً بالوقوع في شباك الحب ؟ .

لوسيتا : أجل يا سيدتي ، إنني أشير عليك به على أن تقعي فيه بحذر .

جوليا : (تجلس) من كل هذا الجمهور اللطيف من النبلاء والأشراف الذين يلاحقونني بأحاديثهم أيهم في رأيك أجدر بحبي ؟ .

لوسيتا : فلتتفضلي بذكر أسمائهم ، وسأعمل فكري طبقاً لمعرفتي البسيطة الساذجة .

جوليا : ماذا ترين في السير إغلامور الوسيم ؟ .

لوسيتا : كونه فارساً ، أراه حسن الحديث أنيقاً ظريفاً ، ولكن لـو كنـت مكانك ما اخترته لنفسي .

جوليا : وما رأيك في مركاشيو الغني ؟ .

لوسيتا : رأيي جيد في غناه ، ولكن رأيي في

شخصه بين . . . بين .

جوليا : (تطرق برأسها) وما رأيك في الشاب النبيل بروتوس ؟ .

لوسيتا : رباه . رباه . ترى أية بلاهة تسيطر علينا .

جوليا :(بانفعال)ولم ذلك ؟ ما معنى هذا الحدة عند ذكر اسمه ؟ .

لوسيتا : (تتظاهر بالحياء) المعذرة ، يا سيدتي العزيزة ، إنه انفعال عارض ، ما أنا إلا مخلوقة حقيرة ، فأنى لي أن أحكم هكذا على السادة الوسيمين الشرفاء .

جوليا : ولماذا لا تقولين رأيك ببروتوس كما قلته بالآخرين جميعاً ؟ .

لوسيتا : إذاً هاكِ رأيي : إنه أفضل من الأفاضل .

جوليا : وما السبب ؟ .

لوسيتا : ليس لدي سبب غير ما تملكه كل سيدة ، إنني أراه هكذا لأنني أراه هكذا .

جوليا : وهل تتمنين أن أمنحه حبي ؟ .

لوسيتا : نعم . . . إذا كنت تظنين أن حبك لم يمنح لأحد بعد .

جوليا : ولكن لِمَ أراه ، هو من غير الآخرين كلهم ، لا يحرك قلبي ؟ .

لوسيتا : ومع هذا ، فإني أراه ، دون الآخرين جميعاً ، أكثرهم حبّاً لك .

جوليا : إن ندرة كلامه تنبىء عن قلة حبه .

لوسيتا : إن أكثر النيران احتباساً أشدها اشتعالاً .

جوليا : ليسوا بعاشقين أولئك الذين لا يبدون ودادهم .

لوسيتا : كلا بل إن الذين ينشرون حبهم هم الناس الأقل حباً .

جوليا : ليتني أعرف ما في دخيلته .

لوسيتا : اقرئي هذه الورقة يا سيدتي .

(جوليا تتناولها)

جوليا : إلى جوليا . . . تكلمي ، ممن هذه ؟ .

لوسيتا : سيظهر ذلك المحتوى .

جوليا : تكلمي ، تكلمي . . . من أعطاك إيها؟

لوسيتا : خادم السيد فالانتين . وأعتقد أنه مرسَل من بروتوس ، وكان عليه أنيسلمها لك ، إلا أنني وقد التقيت به فقد تسلمتها باسمك : فأرجو أن تغفري لي خطأي .

جوليا : (تتظاهر بالغضب) وشرفي إنك الآن وسيط حسن . . . أتجسرين على تشجيع الكتابة العابثة إليّ ؟ أتتهامسين وتتآمرين على صباي ؟ إنها حقاً لوظيفة رفيعة وإنك

لجديرة بها . . . (تناولها الرسالة) هاك خذي هذه الرسالة واعملي على إرجاعها . وإلا فلا تعودي أنت إلي قط .

لوسيتا : إن الدفاع عن الحب يستحق جزاء خيراً من الكراهية .

جوليا : (تدق الأرض بقدمها) ألا تذهبين .

لوسيتا : (تذهب إلى الداخل) لكي تأخذي في التفكير بإمعان . . .

جوليا : ومع ذلك رجوت لو استرقت النظر إلى الرسالة ، إنه لمن المعيب أن أناديها ثانية ، أو أرجوها لافتعال غلطة أنبتها من أجلها . . . يا لها من بلهاء تعرف أنني فتاة صغيرة ولا تضغط عليّ لكي أقرأ الرسالة ؟ إن الفتيات يقلن بخجل : لا ، ويحببن أن يفهم عنهنّ أن الجواب إنما هو نعم . . . يا للعار . ما أشد عناد هذا الحب النزق ، إنه كالطفل العنيد « يخدش » مربيته ثم لا يلبث أن يعود ويقبل العقاب خاضعاً راضياً . وهأنذا ، بنذالة ، قد طردت لوسيتا في حين أنني أتمنى من صميم قلبي أن تكون معي الآن هنا . . . كيف أوجبت على جبيني ، في قساوة ، أن يقطب بينما أجبرت الفرحة الداخلية

فؤادي أن يبتسم . فلأكفرن عن ذلك
باستدعاء لوسيتا ثانية ، وأطلب منها
الغفران عن حماقتي الماضية . . .
ماذا . . . هو « يا لوسيتا » .

(ترجع لوسيتا ، تقع الرسالة)

لوسيتا : ماذا تبغي صاحبة العصمة ؟ .

جوليا : هل اقترب وقت الغداء ؟ ليته اقترب .

لوسيتا : فلعلك تغلبين غضبك بأكل اللحم عوضاً
عن صبه على وصيفتك .

(تلتقط الرسالة)

جوليا : ما هذا الذي التقطته خفية ؟ .

لوسيتا : لا شيء .

جوليا : لماذا انحنيت إذن ؟ .

لوسيتا : لألتقط ورقة تركتها تقع .

جوليا : وهل هذه الورقة لا شيء ؟ .

لوسيتا : لا شيء يمت فيها إليَّ بصلة .

جوليا : إذاً اتركيها لأولئك الذين تمت إليهم بصلة .

لوسيتا : إنها يا سيدتي جديرة بأن تبقى حيث هي
إذا لم يفهم محتواها .

جوليا : لعل بعض عاشقيك قد بعث إليك شعراً .

لوسيتا : حتى أتمكن يا سيدتي أن أنشده نغماً
فانتقي لي لحناً تستطيع سيدتي أن تردده .

جوليا : لحناً صغيراً لحناً يمكن أداؤه بهذه الوسائل البسيطة . الأفضل أن تنشديه على لحن « ما أخف حملك أيها الحب » .

لوسيتا : إنه كلام ثقيل جداً على لحن خفيف كهذا . . .

جوليا : ثقيل . . . لا بد إذن أن يكون ذا وزن ما دام ثقيلاً . . .

لوسيتا : أجل وإنه لطرِب إذا أنشدته أنت .

جوليا : ولماذا لا تنشدينه أنت ؟ .

لوسيتا : لأنه من مقام لا يصل إليه صوتي .

جوليا : فلنطلع على أغنيتك . . .

(تهم باختطاف الرسالة ، ولوسيتا تسرع بسترها وراء ظهرها وتركض)

ومإذا بعد أيتها الحقيرة ؟ .

(تلاحقها)

لوسيتا : (من فوق كتفها) اتركي الإيقاع ، ولسوف تقومين بأدائه (جوليا تمسك بها) ومع ذلك فأنا لا أحب هذا الهزار .

جوليا : (تقرصها) لا تحبين ؟ .

لوسيتا : كلا يا سيدتي ، إنه لقاسٍ جداً .

جوليا : (تلطمها) وإنك لوقحة جداً أيتها الحقيرة .

لوسيتا : كلا . لقد نزلت إلى القرار وخرجت على

وحدة الإيقاع بهذا النشاز الكبير المفاجىء ولا بد لك من لحن وسط لإصلاح إيقاعك .

جوليا : لقد انحط وسطك إلى المقام الأسفل .

لوسيتا : صحيح ، لأنني أشغلك عن بروتوس .

جوليا : هذه الثرثرة لن تغضبني بعد الآن . (تمزق الرسالة) وهاكِ وريقات تدل على احتجاجي ، اذهبي ، اغربي . . . (لوسيتا تنحني) اتركي الورق . . . فإنك تثيرين غضبي بالتقاطه .

لوسيتا : إنها تبدي الغضب ، ولكنها ستسر أعظم سرور إذا أغضبتها رسالة ثانية .

(تدخل)

جوليا : بل وددت لو أغضبتني هذه الرسالة عينها . . . أيتها اليدان أنتما كريهتانَ إليّ لأنكما مزقتما مثل هذه الكلمات الحبيبة ، وأنت أيتها الزنابير المؤذية التي تتغذى على مثل هذا العسل الحلو وتميت بلسعاتها النحل الذي أفرزه ، سألثم كل قصاصة على حدة للتكفير عن جرمي ، (تلتقط قصاصات الورق) هنا مكتوب « يا جوليا الحنون » بل إنها لجوليا القاسية ، وثأراً لنكرانك الجميل .

وسألقي باسمك عرض الأحجار المتكسرة
لأطأ باحتقار على مهانتك . . . وهنا
مكتوب « قتيل الحب بروتوس » أيها
الاسم المكلوم المسكين إن صدري
سيضمك كالفراش حتى يلتئم جرحك
ويندمل . ولذلك فلسوف أسبر أغوار
الجرح بقبلة طويلة . . . ولكنني أجد
تكراراً اسم بروتوس مكتوباً . . . (تفتش
راكعة على ركبتيها) اهدئي ، أيتها الريح
الطيبة ، ولا تتركي كلمة منها تفلت مني
حتى أعثر على كل حرف في الرسالة ، إلا
اسمي أنا ، ألا فلتحمله رياح هوجاء إلى
صخرة معلقة خشنة مرعبة ، ولترمِ به بعد
ذلك في جوف البحر الغاضب . . . يا
عجباً ، إنني أجد اسمه في هذا السطر
مدوّناً مرتين : بروتوس المهجور
البائس ، بروتوس العاشق : إلى جوليا
الحبيبة . . . لا ، هذا سأمزقه . . . ومع
ذلك فلن أفعل ، ما دام قد قرنه في جمال
بنعتيه الشاكيين . وهكذا أثني أحدهما
على الآخر . والآن الثم واحتضن وتكلم
واعمل ما تشاء . . .

(ترجع لوسيتا)

لوسيتا : سيدتي . (تنهض جوليا فزعة) الغداء جاهز . ووالدك ينتظر .

جوليا : (ببرود) إذن ، هيا بنا . . .

لوسيتا : ماذا ، هل ستظل هذه الوريقات منثورة هنا لمروجي الاشاعات يلتقطونها ؟ .

جوليا : إذا كنت تكبرين أمرها فحري بك أن تلتقطيها.

لوسيتا : كلا ، لقد لُطمت لرميها على الأرض . . . ورغم ذلك فلن تبقى مرمية هنا حتى لا يصيبها البرد أو الأذى .
(تجمعها)

جوليا : أراكِ تبكين عليها .

لوسيتا : أجل يا سيدتي ، لك أن تري فيما تشاهدين ما تريدين . إنني أرى أنا الأخرى أموراً وإن خلتني مطروفة العين .

جوليا : تعالي . . . تعالي . . . ألا يبهجك أن تذهبي .

(يدخلان لتناول الغداء)

المشهد الثالث

(فيرونا : حجرة في منزل أنطونيو)

(يدخل أنطونيو وتابعه بانتنو)

أنطونيو : قل لي يا بانتنو ، وما هذا الحديث الحزين الذي استوقفك به شقيقي في وسط الدير ؟ .

بانتنو : كان عن ابن شقيقه ، بروتوس ، ابنك .

أنطونيو : لماذا؟ وماذا قال عنه ؟ .

بانتنو : يعجب لأن سيادتك تجبره على قضاء شبابه في موطنه في حين يرسل الآخرون ، أصحاب المركز الديني ، أولادهم إلى الخارج لينشدوا الرفعة ، بعضهم إلى الوغى ليجرب نصيبه فيها وبعضهم ليكتشف الجزر في الأماكن البعيدة ، وبعضهم إلى الجامعات الكبيرة . وهو يقول إن ولدك بروتوس جدير بهذه الأعمال كلها أو لأي منها . وسألني أن ألح عليك ألا تتركه يمضي وقته في الوطن أكثر مما أمضى ، فستكون علامة سوء كبرى في حياته أنه لم

يعرف السفر في شبابه .

أنطونيو : إنك لست بحاجة إلى كثير من الإلحاح عليّ في هذا الشأن فلقد كنت طيلة هذا الشهر مشغول البال به . لقد قدرت وقته الذي يضيع بدون فائدة حق قدره وقدرت أنه لن يصير رجلاً كاملاً ما لم يعركه العالم ويوجهه ، فإنما تحصل التجربة بالعمل الدائم ثم تكتمل بمرور الوقت ، والآن قل لي ما أفضل مكان أرسله إليه ؟ .

بانتنو : أعتقد ، سيادتك ، أنك تعرف أن رفيقه الشاب فالانتين يعمل في خدمة الإمبراطور في بلاطه الملكي .

أنطونيو : أعلم ذلك جيداً .

بانتنو : من الخير ـ فيما أعتقد . أن تبعثه ، سيادتك ، إلى هناك حيث يتمرن على القتال وفنون الفروسية ويستمع إلى المحاورات الرائعة ويتكلم إلى النبلاء ، ويشاهد عن قرب كل نشاط يتفق وشبابه وكرم أصله .

أنطونيو : إني أرتاح لمشورتك ويا لحسن ما أشرت به ، ولتعلم كم أنني تقبلتها ستجد أن تنفيذها ينبئك بذلك . فسأوفده في الحال إلى بلاط الإمبراطور في أول رحلة .

بانتنو : غداً ، إذا قبل مولاي ، سيرحل دون ألفونس مع غيره من الأشراف المحترمين للسلام على الإمبراطور وليضعوا إمكانياتهم بتصرفه .

أنطونيو : رفقة طيبة . فليذهب معهم بروتوس . . .

(يدخل بروتوس وهو يقرأ رسالة بإمعان)

إن الوَقت ملائم . . حان الوقت لأن نكلمه في الأمر .

بروتوس : (لنفسه) حب جميل ، سطور جميلة ، حياة جميلة . هنا يدها ، التي تحكي عما في قلبها ، هنا قسم حبها ، هنا عهد شرفها ، آه لو أن والدينا شجعا حبنا وأكملا سعادتنا برضائهما . . . آه أيها الملاك جوليا . . .

أنطونيو : ما هذه الرسالة التي تقرأها هنا ؟ .

بروتوس : عفواً مولاي ، إنها كلمة أو كلمتان للذكرى أرسلهما فالانتين وسلمتا بواسطة صديق جاء من عنده .

أنطونيو : أعطني الرسالة واتركني أقرأ ما بها من أنباء .

بروتوس : ليس فيها أخبار يا سيدي . غير أنه يصف كيف يمضي حياة هنيئة . . . وكيف

يحظى بالعز والإكرام من الإمبراطور في كل يوم ويتمنى لو كنت معه أشاطره حظه.

أنطونيو : وما رأيك بموافقة مشيئته .

بروتوس : موقف من ينصاع لمراد سيادتك ، ولا يتكل على رغبة صديق .

أنطونيو : إن مرادي يتوافق نوعاً ما مع مشيئته . ولا تعجب إذا تصرفت على هذا الشكل بغتة لأنّ ما أبتغيه أحققه ، وعملي هو الفصل ، لقد نويت على أن تمضي بعض الوقت مع فالانتين في بلاط الإمبراطور . وسأدفع لك راتباً كالنفقة التي يحصل عليها من أصدقائه . . . غداً تستعد للرحيل ، فلا تتعلل . . . لأنني مصمم .

بروتوس : سيدي ، إنني لا أستطيع أن أستعد بهذه السرعة فمن فضلك أجلها يوماً أو يومين .

أنطونيو : إن جلّ ما تريد سيبعث في أثرك وكفاك إقامة هنا . غداً ينبغي أن تذهب . تعال يا بانتنو عليك أن تتعجل ذهابه .

(يخرج أنطونيو يتبعه بانتنو)

بروتوس : هكذا ابتعدت عن النار حذر الاحتراق فألقيت بنفسي في البحر فغرقت فيه . لقد خفت أن أطلع والدي على رسالة جوليا

لئلا يمانع في حبي ، فإذا العذر الذي التمسته
يستغله هو ليضع أكبر عثرة تعترض سبيل
حبي آه . . . ما أشبه ينبوع الحب هذا
ببهجة يوم بديع من أيام الربيع يبدي حيناً
كل ما في الشمس من رواء ثم تأتي غيمة
بعد حين فتمحو كل شيء .

(يأتي بانتنو إلى الباب)

بانتنو : يا سيد بروتوس ، إن أباك يطلبك . . . إنه
متعجل ، أناشدك أن تذهب إليه .

بروتوس : هكذا الأمر - إن قلبي يلبي النداء ولكنه مع
ذلك يجيب « لا » وألف « لا » .

الفصل الثاني

المشهد الأول

(أحد شوارع ميلانو)

(فالانتين يليه سبيد : قفاز فالانتين يقع)

سبيد : (يعدو إليه) سيدي ، قفّازك .

فالانتين : ليس قفّازي . . . إن قفّازي في يدي .

سبيد : بل قد يكون قفّازك ، فإنما هو واحد .

فالانتين : ها . . . دعني أرى . . أجل ناولني إياه إنه قفّازي . . . حلية حلوة تزين شيئاً قدسياً آه ، سيلفيا ، سيلفيا .

سبيد : (يصرخ) يا سيدة سيلفيا . . . يا سيدة سيلفيا . . .

فالانتين : ماذا تقول الآن ، يا هذا . . .

سبيد : إنها لا تسمعنا يا سيدي .

فالانتين : ويحك ، ومن طلب إليك أن تناديها ؟ .

سبيد : فضيلتك يا سيدي ، وإلا فقد غلطت .

فالانتين : أرى أنك ستبقى وقحاً مندفعاً .

سبيد : ومع هذا فقد زجرتني أخيراً لأنني كنت ثقيلاً محجماً .

فالانتين : هيا ! قل لي يا صاح : هل تعرف السيدة سيلفيا ؟ .

سبيد : تلك التي تحبها سيادتك . . . ؟ .

فالانتين : وكيف علمت أنني أحب ؟ .

سبيد : عجباً ! بهذه الظواهر المميزة أولاً ، لقد تعلمت ـ كالسيد بروتوس ـ أن تلف ساعديك كما يلفهما المتأففون ، وأن ترتل أغاني الحب كما يصدح الهزار ، وأن تمشي وحيداً ، كمن أصابه الطاعون ، وأن تتنهد كالطالب الذي نسي أبجديته ، وأن تبكي كالفتاة التي دفنت جدتها ، وأن تصوم كمن هو في حمية ، وأن تسهر ساهداً كمن يخاف السرقة ، وأن تتكلم متهدج الصوت كالمستعطي في عيد القديسين ، وكان من عادتك عندما تضحك أن يعلو صوتك كالديك ، وإذا سرت سرت كالأسد ، وإذا صمت فصومك عقب الغداء ، فإذا بدا عليك الجنون كان ذلك لافتقارك إلى النقود . . . أما الآن ، فقد غيّرتك عن طبيعتك سيدة ، حتى إني إذا نظرت إليك ، تعسر علي أن أرى فيك صورة سيدي .

فالانتين : آكل هذه الامارات تبدو عليّ ؟ .

سبيد : إنها تظهر جميعاً في هيئتك وقد تغيَّرت فلم تعد أنت .

فالانتين : يبدو أني قد تبدلت؟ هذا مستحيل .

سبيد : أجل ، تبدلت ، وهذا أكيد فقد كنت ساذجاً سذاجة لا مثيل لها ، قبل أن تدخلك هذه الحماقات ، فأما وقد استقرت هذه الحماقات في نفسك ، وأخذت تومض كما يومض الماء في أنبوبة الطبيب ، فإن كل عين تراك هي عين طبيب يشخص مرضك العضال .

فالانتين : ولكن أخبرني . . . هل تعرف سيدتي سيلفيا ؟ .

سبيد : هل هي التي تحملق فيها ملياً عندما تجلس لتناول طعام العشاء .

فالانتين : هل انتبهت أنت لذلك ؟ إنها هي التي أتكلم عنها .

سبيد : في الحقيقة يا سيدي أنا لا أعرفها .

فالانتين : أتعرفها من حملقتي فيها ثم أنت بالحقيقة لا تعرفها ؟ .

سبيد : أليست هي التي لم يبخل عليها الله بالجمال ؟

فالانتين : بل إني لأغدق عليها من ودادي أكثر مما أغدق عليها المولى من جمال .

سبيد : سيدي ، إنني أعلم ذلك كل العلم .

فالانتين : وماذا تدري أيضاً ؟ .

سبيد : إنها ليست فائقة الجمال ، على قدر ما هي محبوبة منك .

فالانتين : أعني أن جمالها بديع أما حبي لها فبلا حدود .

سبيد : ذلك لأن الأول أصباغ ودهون ، أما الآخر فأكثر من كل تقدير .

فالانتين : وكيف يكون هذا أصباغاً ودهوناً وذاك أكثر من كل تقدير ؟ .

سبيد : حقاً ، يا سيدي ، إنها مصبوغة لتكون جميلة ، حتى لا يكون أحد يستطيع تقدير جمالها .

فالانتين : وكيف تقدرني أنا ؟ فأنا أقدر أنها جميلة .

سبيد : إنك لم تشاهدها أبداً من حين شاهت صورتها ؟ .

فالانتين : وكم ظلت شوهاء ؟

سبيد : من حين أحببتها .

فالانتين : إنني أحببتها مذ أبصرتها ، وما زلت أراها جميلة .

سبيد : إذا كنت تحبها ، فأنت لا تستطيع أن تشاهدها .

فالانتين : لماذا ؟ .

سبيد : لأن الحب ضرير ، ليت لك مقلتيّ، ليت لعينيك النور الذي كان لهما ، عندما كنت تنتقد السيد بروتوس لأن العشق أنساه أن يربط جوربه .

فالانتين : وماذا كنت أرى حينئذٍ ؟ .

سبيد : حماقتك أنت الحاضرة وتشويهها الذي لا يوصف ، لأن بروتوس ، وقد وقع في الهيام ، نسي أن يربط جوربه وأنت وقد وقعت في الوداد نسيت ، أصلاً ، أن تنتعل جوربك .

فالانتين : إذن ! أنت أيضاً عاشق يا غلام لأنك لم تعتنِ بمسح حذائي صباح البارحة .

سبيد : صحيح ، يا سيدي ، كنت أحن إلى مخدعي وأحبه . وأنا شاكر لك . فقد ضربتني من أجل ودادي ، مما جعلني أجرأ جِناناً على لومك من أجل حبك .

فالانتين : النهاية ، إنني ما زلت على حبها .

سبيد : وددت لو خبت هذه الجذوة فيك وبذلك تتخلص من حبك .

فالانتين : لقد سألتني في الليلة السابقة أن أكتب رسالة إلى رجل تحبه .

سبيد : وهل فعلت ؟ .

فالانتين : نعم . . .

سبيد : ألم تكتب أسطرها عوجاء ؟ .

فالانتين : كلا ، يا غلام ، ولكني جدّدتُ تسطيرها على أحسن ما أستطيع . . . اسكت ، ها هي ذي قادمة .

(تدنو سيلفيا ومعها وصيفتها)

سبيد : (جانباً) يا للحركة الرشيقة . . . آه . . . ما أروعها من لعبة ، والآنِ سوف يبوح لها بما في سريرته .

فالانتين : (يمعن في الانحناء) سيدتي ، ومولاتي ، ألف صباح سعيد .

سبيد : (جانباً) آه ، ولك مثلها مليون طراز من آداب السلوك .

سيلفيا : (تنحني) إلى السيد فالانتين وإلى التابع . ألفا صباح سعيد إلى كلٍّ منكما .

سبيد : (جانباً) يجب أن يعطيها على ذلك كسباً ، وهي تعيده إليه .

فالانتين : إنني ، وكما أمرتني ، سطّرت رسالتك الموجهة إلى صديقك المجهول الذي لا اسم له (يعطيها الرسالة) ولم أكن راغباً رغبة قوية بالعمل على تسطيرها ، ولم أفعل ذلك إلا وفاء لواجبي نحو عصمتك .

سيلفيا : (تقرأ الرسالة بإمعان) شكراً لك أيها الخادم اللطيف . لقد أحسنت الكتابة .

فالانتين : والآن صدقيني يا سيدتي ، لقد كتبتها رغماً عني لأن عدم معرفتي بمن توجه إليه الرسالة جعلني أكتبها كيفما اتفق وبكثير من الريبة في جديتها .

سيلفيا : (ببرود) تعطي تعبك هذا تقديراً عظيماً .

فالانتين : كلا ، يا سيدتي ، ما دام هذا لخدمتك ، وإنني سأكتب ، إرضاء لأوامرك ألف ضعف لهذه ومع ذلك . . .

سيلفيا : أرى أنك قد توقفت ، وبمقدوري أن أكتشف بقية الجملة . . . « ومع ذلك ، من أذكرها ، ومع ذلك لست أحفل . . . ومع ذلك خذ هذه الرسالة . . . ومع ذلك أشكر لك . . . وليس في نيتي أن أزعجك بعد اليوم .
(تقدم له الرسالة)

سبيد : (لنفسه) ومع ذلك فإنك ستفعلين ، ومع ذلك ستترددين ، مع ذلك . . .

فالانتين : (في حياء) ماذا تعنين عصمتك ؟ ألم تحز على إعجابك ؟ .

سيلفيا : نعم . . . نعم . . . إن الكلمات قد كتبت بحذاقة ولكن ما دمت قد كتبتها على الرغم منك فلترد إليك .

(تناوله الرسالة ثانية)

فالانتين : كلا . . .

سيلفيا : خذها .

فالانتين : سيدتي إنها كتبت لأجلك .

سيلفيا : نعم ، نعم . . . لقد كتبتها يا سيدي ، بناءً لطلبي ولكني لا أريد شيئاً منها . . . إنها لك . كنت أفضل أن تكتب بحيث تكون أكثر تأثيراً في النفس .

(يتناول الرسالة)

فالانتين : بإذنك ، سأكتب إلى عصمتك رسالة أخرى .

سيلفيا : وإذا انتهيت منها . . . فاتلُها بحياتي على نفسك فإذا حازت إعجابك فذاك أما إذا لم تعجبك فليس ذلك .

فالانتين : إذا أعجبتني يا سيدتي ، فماذا . . . إذن ؟ .

سيلفيا : إذا أعجبتك فهي لك مكافأة على
: عملك، والآن أسعدت صباحاً أيها
الخادم .
(تنحني وتنصرف)

سبيد : (جانباً) هزار غير مفهوم . . . لا يمكن
تبريره . . . ولا يمكن أن يرى كأنه أنف
على وجه إنسان ، أو كشارة الريح في
أعلى القبة العالية ، إن سيدي يخطب
ودها . . . وقد عرفت خاطبها ، وهو
تلميذها ، أن يصبح أستاذها . . . يا لها
من حيلة ماهرة . . . أسمع أحد بأحسن
منها ؟ إن سيدي ، كونه كاتباً ، يُلزم
بكتابة الرسالة إلى نفسه ؟ .

فالانتين : ماذا بعد ، يا هذا ، فيم تفكر بينك وبين
ذاتك ؟ .

سبيد : لا شيء . . . كنت أسبح في عالم
الشعر ، إنك أنت يا سيدي الذي ينبغي
عنده التفكير .

فالانتين : لفعل ماذا ؟ .

سبيد : لتكون الناطق باسم السيدة سيلفيا . . .

فالانتين : إلى من ؟ .

سبيد : إلى ذاتك . . . أؤكد لك ، إنها تتودد
إليك بالإشارات .

فالانتين : أية إشارات ؟ .
سبيد : لعل الأحسن أن أدعوها رسالة .
فالانتين : كيف ذلك وهي لم تكتب إلي ؟ .
سبيد : وما يضطرها لفعل ذلك ، وقد أرادتك أن تكتب إلى نفسك ألم تفهم المداعبة ؟ .
فالانتين : كلا ، صدقني . . .
سبيد : لنقل انني صدقتك يا سيدي ، ألم تلاحظ ما قدمت إليك من عربون ؟ .
فالانتين : إنها لم تعطني شيئاً ، سوى كلمة تدل على أنها لم تكن راضية .
سبيد : لماذا ، لقد قدمت لك الرسالة . . .
فالانتين : إنها الرسالة التي سطرتها إلى صديقها .
سبيد : وهذه الرسالة قد قدمتها إليك ، وانتهى الأمر .
فالانتين : آمل ألا يكون الأمرُ أسوأ من ذلك . . . بل أنا أؤكد لك ذلك ، إن الأمر حسن وعلى خير ما يرام فكثيراً ما كتبت لها . . . وهي ، لم تستطع الإجابة ، إما خجلاً وإما لعدم وجود وقت الفراغ ، أو رهبة من رسول يكشف سرها .
وقد علّمت حبيبها ذاته أن يكتب إلى حبيبها . وأنا أحدّث بهذا كله بكلام

مطبوع لأنني وجدته مطبوعاً ، فلماذا تعجل فكرك يا سيدي ؟ لقد أزف وقت الغداء . . .

فالانتين : (يتنهد) لقد تغديت . . .

سبيد : أجل ، ولكن اسمع يا سيدي إذا كان الحب كالحرباء ، قوته الهواء ، فإنني : أقتات بأطعمتي وأتمنى أن أحصل على قطعة من اللحم . . . آه، ولا تكن مثل سيدتك. تحرك . ـ

(يتحركان)

الفصل الثاني

المشهد الثاني

(فيرونا . . . شارع قريب من بيت جوليا)

(بروتوس . . . وجوليا على مقعد تحت الشجر)

بروتوس : تجملي بالصبر ، يا جوليا الناعمة .

جوليا : لا بد من ذلك ، حيث لا يوجد دواء آخر .

بروتوس : سأرجع متى سنحت لي الفرصة . . .

جوليا : إذا لم تتحول . . . فسيكون رجوعك أسرع احتفظ بهذا التذكار من أجل جولياك . . .

(تناوله خاتماً)

بروتوس : إذاً فلنتبادل . خذي هذا الخاتم .

(يناولها خاتماً آخر)

جوليا : ولندوّن المبادلة بقبلة مقدسة .

بروتوس : هذه يدي دليل على صدق إخلاصي . . .
وإذا مرت عليّ ساعة من النهار ولم أتنهد
لأجلك يا جوليا ، فليحدث لي في الساعة
التي تليها مكروه يعذبني لنسيان حبي ،

إن والدي ينتظرني ، لا تردي . فلقد
أتى المد ، لا . ليس المد الذي تفعله
دموعك . . . فإن هذا المد سيجعلني
أبقى أكثر مما يجب جوليا ، الوداع . . .
(يتعانقان وتخرج باكية) ماذا أتذهب دون
أن تقول كلمة ؟ أجل ، هذا هو الحب
الصادق . . . إنه لا يستطيع الكلام . . .
لأن الصدق تزينه الأعمال بأحسن مما
تزينه الأقوال . . .

(بانتنو يلوح عن بعد)

بانتنو : (يصرخ) يا سيد بروتوس . . . إنهم
ينتظرونك .

بروتوس : اذهب إنني آت ، إنني آت ، يا للعجب ،
هذا الفراق يصيب العشاق المساكين
بالخرس .

(يخرج)

المشهد الثالث

(ببطء يدنو لونس باكياً ، يقود كلباً ثم يربطه إلى شجرة)

لونس : كلا ، ستجيء هذه الساعة قبل أن أخلص من بكائي . إن جميع من هم على طراز آل لونس يشكون من هذا العيب نفسه لقد نلت نصيبي كالابن المسرف ، وهأنذا ذاهب مع السيد بروتوس إلى القصر الإمبراطوري . وأظن أن كلبي « كراب » هو الكلب الأشد عناداً على قيد الحياة . والدتي تنتحب ووالدي يبكي وشقيقتي تعول، وخادمتنا تندب ، وهرتنا تفرك يديها حزناً ، وكل أهل دارنا في ارتباك عظيم ومن ذلك فهذا الكلب القاسي القلب لم يذرف دمعة واحدة . . . إنه صخر ، إنه صخر خلق من الحصى ، وليس فيه من الشفقة أكثر مما في كلب ، إن اليهودي لو رأى فراقنا لانتحب ، انظر إن جدتي وهي مكفوفة العينين ، ذهب النواح ببصرها لفراقي . . . كلا . . . سأريك كيف حدث ذلك . . . (يخلع

نعليه) هذا النعل والدي كلا ، هذا النعل الأيسر هو والدي ، كلا ، كلا ، بل هذا النعل الأيسر والدتي . . كلا ، لا يمكن أن يكون هذا ، ولا ذاك ، نعم . . . إنه كذلك ، إن لها النعل الأردأ . . . هذا النعل المثقوب هو والدتي ، وذاك والدي عليه اللعنة ها هو ذا (يضع نعليه على المقعد) والآن يا سيدي هذه الهراوة ، هي شقيقتي ، لأنها كما ترى في بياض الزنبق ، وفي قصر الصولجان . . . وهذه القبعة هي « نان » خادمتنا وأنا الكلب . . . لا ، الكلب هو نفسه ، وأنا الكلب ، آه ، الكلب أنا ، وأنا هو ذاتي . . . أجل وهلم جرا . . . والآن أتوجه إلى والدي (يجثو) : أبتاه ! بركتك ، والآن ما لهذا النعل يعبر عن نواحه . والآن ألا ينبغي أن أقبل والدي (يقبل أحد النعلين) ما هذا ؟ إنه لا يزال ينوح . والآن أتوجه إلى والدتي . آه ، لو أنها تستطيع الآن أن تتكلم ، كالمرأة الريفية الجلفة إنني أقبلها . (يقبل النعل الأخرى) ها هي ذي وهذا هو شهيق والدتي وزفيرها . . . والآن أتوجه إلى شقيقتي ، انتبه للأنين الذي يصدر عنها ،

كل هذا والكلب في كل هذا الوقت لم يذرف دمعة ، أو ينبس بكلمة . . . ولكن انظر كيف هَدَّأت التراب بعبراتي .

(يرجع بانتنو مسرعاً)

بانتنو : لونس ، اذهب ، اذهب إلى الباخرة . . . إن مولاك قد ركب الباخرة وستلحق به على عجل بالمجاذيف . . . ماذا حدث ؟ لماذا تبكي يا رجل ؟ اذهب يا حمار ، سيفوتك المد ، إذا تلكأت أكثر من ذلك .

لونس : (يملؤه الحزن) لا شيء يهم إذا فُقد المتاع الممدود لأنه أخس ما مده إنسان . . .

بانتنو : ما هذا الممدود الذي تومىء إليه .

لونس : الممدود هنا هو كلبي « كراب » .

بانتنو : اسكت يا رجل . . . إنني أعني أنك ستفقد التيار وإذا فقدته فقدت رحلتك ، وإن فقدت رحلتك فقدت سيدك ، وإن فقدت سيدك فقدت عملك ، وإن فقدت عملك . . . لماذا تسكتني ؟ .

لونس : خوفاً عليك من أن تفقد لسانك .

بانتنو : وأين أفقد لساني .

لونس : في ذيل قصتك .

بانتنو : في ذيلي ؟ .

لونس : أفقد المد ، والرحلة ، والسيد ، والعمل ، والربط والمربوط (يفك وثاق كراب) لماذا يا رجل ، إذا كان النهر جافاً ، فإن بمقدوري أن أملأه بدموعي ، وإذا كانت الريح ساكنة فبمقدوري أن أسيِّر القارب بزفراتي . . .

بانتنو : هلم . . . انصرف يا رجل . . . لقد أرسلت لأدعوك .

لونس : (متوعداً) ادعني ما شئت ، إذا تجرأت . . .

بانتنو : ألا تذهب ؟ .

لونس : حسناً ، سأذهب . . .

(ينصرفان على عجل)

المشهد الرابع

(ميلانو . . . حجرة في قصر الدوق)

(فالانتين وسيلفيا يجلسان معاً ويتبادلان الحديث بصوت منخفض ، سبيد خلف فالانتين ، والسيد توريو (يرتدي ثياباً متكلفة) يراقبهما عن بعد)

سيلفيا : أيها الخادم .

فالانتين : مولاتي .

سبيد : (يهمس في أذن سيده) مولاي إن السيد توريو يرمقك مقطب الجبين . .

فالانتين : أجل ، يا غلام ، ذلك من الحب .

سبيد : ليس من حبك أنت .

فالانتين : إذن من حب سيدتي .

سبيد : يا حبذا لو صرعته . (يخرج سبيد)

سيلفيا : (بصوت مرتفع قليلاً) أيها الخادم ، إنك حزين .

فالانتين : حقاً يا سيدتي . . . إنني لكذلك فيما يظهر .

توريو : وهل تبدو عكس ما أنت عليه .

فالانتين : قد أكون كذلك .

توريو : هكذا يفعل الكذابون .

فالانتين : وهكذا أنت تفعل .

توريو : وما الذي أظهره وليس بي ؟ .

فالانتين : التعقل .

توريو : وما هو الدليل على عكسه ؟ .

فالانتين : بلاهتك .

توريو : وكيف اكتشفت بلاهتي ؟ .

فالانتين : اكتشفتها من صدارك الضيق .

توريو : إنه صدار موجه مزدوج .

فالانتين : حسناً ، سأضاعف بلاهتك إذن فتزدوج كذلك ؟ .

توريو : وكيف ؟ .

سيلفيا : ماذا ، هل أنت غاضب يا سيد توريو ؟ هل وجهك يتجهم ؟ .

فالانتين : اعذريه يا سيدتي ، فإنه صنف من جنس الحرباء .

توريو : حرباء تميل لأن تغتذي من دمك أكثر من ميلها السليقي لأن تقتات من هوائك .

فالانتين : لقد تلفظت بها يا سيدي .

توريو : أجل يا سيدي ، وفعلتها أيضاً ، في هذه المرة .

فالانتين : أعرف ذلك حق المعرفة يا سيدي ، فأنت تنتهي دائماً قبل أن تباشر .

سيلفيا : تراشق بالكلمات بديع ، أيها السيدان ،

وهي تنطلق بسرعة .

فالانتين : بالتأكيد هي كذلك ، ونحن نشكر الحافز إليه .

سيلفيا : ومن هو ، أيها الخادم ؟ .

فالانتين : أنت ذاتك أيتها السيدة الجميلة ، فأنت التي أجَّجت نارها ، والسيد توريو إنما يقترض من جمال طلعتك سرعة بديهته ، ويتكرم بتبذير ما اقترضته في حضورك .

توريو : يا سيدي ، لو كل كلمة مني أنفقت مقابلها كلمة من عندك فإنني ، أصيب ذكاءك بالإفلاس .

فالانتين : أعلم ذلك جيداً يا سيدي ، فإن لك خزانة عامة من الكلمات ، بل ليس لديك معين آخر تدفع منه لأتباعك . . . إن ذلك ليبدو في كسوة أتباعك الرثة ، لأنهم يعيشون على ألفاظك البالية .

سيلفيا : كفى ، كفى ، أيها السيدان . . . فهذا والدي قد أتى .

(يدخل الدوق وفي يده رسالة)

الدوق : (مبتسماً) والآن يا ابنتي سيلفيا ، إنك في موقف صعب أما أنت يا سيد فالانتين ، إن والدك بصحة جيدة ، ماذا تقول في رسالة من أصدقائك تحمل

أخباراً مفرحة جداً .

فالانتين : مولاي ، أكون شاكراً . لأي رسول سعادة من هناك.

الدوق : هل تعرف مواطنك الدوق أنطونيو ؟ .

فالانتين : أجل ، يا مولاي ، أعرف أن للسيد مركزاً مرموقاً وشهرة واسعة ، وأن سمعته الطيبة يستحقها بجدارة .

الدوق : أليس له ولد ؟ .

فالانتين : بلى يا مولاي الجليل، إنَّ له ولداً جديراً بشرف هذا الوالد ورعايته .

الدوق : أتعرفه جيداً ؟ .

فالانتين : أعرفه كما أعرف نفسي . . . لأننا كنا متلازمين نمضي الساعات معاً منذ طفولتنا ولما كنت كسولاً، أهرب من الدرس وأضيع ثمرات الزمن الشهية هباء ولا أكسو حياتي بكمال أدنى إلى كمال الملائكة ، فإن السيد بروتوس ، وهذا اسمه ، استغل أيامه واستخلص منها منفعة كبيرة . وهو صغير في عمره ، لكنه شيخ في تجاربه ورأسه قاسٍ ولكن رأيه ناضج . فهو بإيجاز، وإن كان كل المديح الذي أسبغه عليه لا يبلغ مكانته، كامل في هيئته وعقله وفيه

جميع الفضائل التي يفخر بها السيد الشريف .

الدوق : ويحي يا سيدي إن كان له مثل هذه الفضائل فإنه جدير بحب إمبراطورة ويصلح لأن يكون مستشاراً لإمبراطور ، نعم يا سيدي ، إن هذا السيد قد أتاني ومعه توصيات من حكام عظام ، وهو ينوي أن يبقى هنا ليقضي فترة من الوقت . آمل أن تكون هذه الأنباء غير سارة لك .

فالانتين : لو كنت قد تمنيت شيئاً لما تمنيت غير هذا .

الدوق : فلنرحب به إذن على قدر مركزه . . سيلفيا، إنني أتكلم إليك وإليك أنت أيضاً يا سيد توريو، أما فالانتين فليس بحاجة لأن أذكر ذلك له، سأرسله إليكم هنا في الحال .

(يخرج)

فالانتين : هذا هو السيد الذي ذكرت لعصمتك أنه كان سيحضر معي لولا أن صديقته قد أسرت ناظريه بمحاسنها الباهرة .

سيلفيا : يبدو أنها حررتهما الآن بعد أن أخذت منه موثقاً آخر على إخلاصه .

فالانتين : كلا بالتأكيد ، فإني أعتقد أنها ما زالت تبقيهما رهينتين عندها .

سيلفيا : غير ممكن لأنه بذلك يصبح ضريراً ـ وإذا أصبح كذلك فكيف يبصر سبيله إليك ؟ .

فالانتين : بلى يا سيدتي ، إن للحب عشرين زوجاً من العيون .

توريو : إنهم يتحدثون بأن الحب ليست له عين على الإطلاق .

فالانتين : ليست له عين لينظر بها محبين على مثالك يا سيد توريو ، لأن العين أمام الدمامة لا تملك إلا أن تكون مطروفة .

سيلفيا : كفى . كفى . . لقد أقبل السيد .

(يدخل بروتوس ، ينصرف توريو ، وهو يهز كتفيه)

فالانتين : مرحباً بك يا عزيزي بروتوس . . .

(يتعانقان)

أطلب منك يا سيدتي أن تؤكدي الترحيب به بأن تمنحيه حظوة خاصة .

سيلفيا : إن مكانته تؤكد الترحيب به هنا ، إذا كان هو الذي وددت دائماً في أن يكتب إليك .

فالانتين : سيدتي ، إنه لكذلك . . . (يقدمه إليها) سيدتي الجميلة ، اقبليه ليكون زميلاً لي في خدمة عصمتك .

سيلفيا : (تنحني) سيدة جد متواضعة لمثل هذا الخادم المحترم .

بروتوس : ليس الأمر كذلك يا سيدتي الجميلة ، ولكنه خادم أحقر من أن يحظى بنظرة من السيدة الرفيعة .

فالانتين : دعي الكلام عن التواضع يا سيدتي الجميلة واقبليه خادماً لك .

بروتوس : إنه لواجبي الذي أفخر به وأعتزُّ دون أي شيء آخر .

سيلفيا : وما احتاج الواجب قط إلى المكافأة أو الجزاء عليه (يقبل يدها) أيها الخادم مرحباً بك من سيدة قليلة الخطر .

بروتوس : إنني أقتل من يتفوّه بذلك اللهم إلا أنت .

سيلفيا : من يقول : مرحباً بك ؟ .

بروتوس : بل من يقول إنك قليلة الخطر .

(يعود توريو)

توريو : سيدتي إن مولاي ، والدك يرغب بالتحدث إليك . .

سيلفيا : أنا طوع رغبته هيّا يا سيد توريو فاخرج معي . . . وأنت أيها الخادم الجديد ، مرحباً بك مرة أخرى ، أدعك لتتحدث في شؤون موطنك ، فإذا انتهيت فنحن ننتظر

لسماع أخبارك .

بروتوس : نحن كلانا سنكون في خدمة عصمتك .

(تخرج سيلفيا وتوريو)

فالانتين : والآن أخبرني كيف حال الذين أتيت من عندهم جميعاً ؟ .

بروتوس : رفاقك بخير فاذكرهم أطيب الذكرى .

فالانتين : وكيف أحوال أصدقائك ؟ .

بروتوس : تركتهم جميعاً في عافية .

فالانتين : وكيف حال حبيبتك ؟ وكيف ينمو حبك ؟ .

بروتوس : إن أقاصيص حبي كانت تضجرك دائماً . فأنا أعلم أنك لا تستمتع بحديث حب .

فالانتين : أجل يا بروتوس ، ولكنٍ تلك الحياة قد تبدَّلت الآن ، فإنني أكفِّر عن احتقاري للحب . وها هو ذا الحب يعاقبني بأفكاره السامية الآمرة بحرمان مرير وبأنات تائب ، ودموع الذي يمضي الليل مؤرقاً ، وزفرات الذي يقضي النهار بقلب متفجع ، وذلك أن الحب ثأراً من ازدرائي له قد طرد النوم من عيني اللتين استرقهما وجعلهما حارستين على أحزان فؤادي . آه يا بروتوس الرفيق إن الحب سيد قاهر ولقد

أخضعني كما أقرّ بذلك حتى لا أشعر بأي
عذاب لآلامه أو غضاضة في الخضوع له
: وإذا رضي فلا بهجة في الأرض
كبهجته... والآن لا حديث لي إلا عن
الحب ..وأنا الآن لا أفكر ولا أتناول
طعام الغداء أو العشاء إلا على اسم
الحب.. الحب وحده مجرداً ..

بروتوس : كفى ، إنني أقرأ حظك في عينيك ...
أهذا هو الصنم الذي تعبده كل هذه
العبادة ؟ .

فالانتين : إنها لهي أليست ملاكاً سماوياً .. ؟ ..

بروتوس : كلا ، ولكنها أنموذج أرضي مثالي .

فالانتين : قل إنها إلّهية .

بروتوس : إنني لن أتملقها.

فالانتين : آه ، ولكن تملقني أنا ، فإن الحب يبهجه
المديح .

بروتوس : عندما كنت سقيماً أعطيتني أقراصاً مُرَّةً
ويجب أن أقدم لك مثلها .

فالانتين : إذن اصدقني الكلام عنها فإن لم تكن
إلّهية فلتكن أميرة تمتلك جميع الخلائق
في الأرض .

بروتوس : عدا سيدتي أنا .

فالانتين : عزيزي ، لا تستثن أحداً من ذلك ، لأنك إذا استثنيت تكون قد أسأت إلى حبي .

بروتوس : ألا يحق لي أن أفضل حبيبتي أنا ؟ .

فالانتين : وأساعدك أنا على تفضيلها أيضاً ! . إنها ستكرم بهذا الشرف العالي وهو أن تمسك بذيل ثوب سيدتي ، حتى لا تكون للأرض الحقيرة الفرصة لأن تختلس من ثوبها قبلة فتفخر بهذا الفضل العظيم وتأنف من أن تلثم جذور زهرة الصيف اليانعة ، بل لا تكترث إذا بقي الشتاء سرمداً .

بروتوس : ويحك يا فالانتين ، ما هذه الثرثرة ؟ .

فالانتين : عفواً يا بروتوس ، فكل ما أقدر عليه وأستطيعه لا يعد شيئاً بالنسبة إليها ، فإن قدرها يمحو أقدار الآخرين ، إنها نسيج وحدها .

بروتوس : إذن ، دعها وحدها .

فالانتين : كلا ، ولو مُلّكْتُ العالم كله . . . ماذا يا هذا ، إنها لي وحدي ، وسأكون ، بالحصول على مثل هذه الدرّة غنياً غناءَ من يمتلك عشرين بحراً ذرات رمالها كلها من اللؤلؤ ، ومياهها من شراب أرباب الأوليمب ، وصخورها من الذهب

الخالص . اعذرني إذا كنت مقصراً
تجاهك ، فأنت تراني أهيم بالحب . . .
لقد ذهبا معاً . . . هي وغريمي الأحمق
الذي يفضّله والدها لممتلكاته الواسعة،
يجب أن ألحق بهما، لأن الحب، كما
تعرف، تَغْمُرُه الغيرة .

بروتوس : ولكن هل تحبك هي ؟ .

فالانتين : أجل ، ونحن خطيبان . . . كلا ، بل
نحن أكثر من خطيبين . فلقد رتبنا لساعة
زواجنا ، بكل ما يتطلبه فرارنا من حيلة
ماهرة وناجحة. رتبنا كيف أتسلق نافذتها
بسلم مصنوع من الحبال . ودُبرت جميع
الوسائل واتفق عليها ، وهي مهيأة لتحقيق
سعادتي . يا بروتوس الطيب ، تعالَ معي
إلى حجرتي لتساعدني بنصحك على هذه
الأمور .

بروتوس : اسبقني وسوف ألحق بك . . . فيجب أن
أذهب إلى الطريق ، لكي أنزل من الباخرة
بعض المتاع الضروري الذي أحتاج
إليه . . . ثم ألحق بك في الحال .

فالانتين : (عند الباب) هل لك أن تسرع ؟ .

بروتوس : سأفعل (يتركه فالانتين) وكما أن النار

تطفىء ناراً أخرى ، وكما أن مسماراً يطرد بالقوة مسماراً آخر ، كذلك فإن ذكرى حبيبتي السابقة تصبح نسياً منسياً بفضل حبيبة أحدث فهل نظراتي الزائغة أو ثناء فالانتين وكمالها الصادق أو ضلالي الأثيم هو الذي جعلني أرعن، نزقاً أفكر على هذا النحو؟ إنها لجميلة . وكذلك هي جوليا التي أحبها . . . التي كنت أحبها ، لأن حبي قد ذاب الآن ، كتمثال مصنوع من الشمع إذا تعرض للنار لا يعود يحمل صورة الشيء الذي كان عليه من قبل . . . وأنا أعتقد أن عاطفتي نحو فالانتين فاترة ، وإنني لا أحبه كما اعتدت في الماضي ، ولكنني أحب حبيبته جداً جداً . . . وهذا هو السبب الذي يجعلني أحبه قليلاً جداً . وكيف أهيم بها بعد مزيد من النصح كثير وأنا بدأت أحبها هكذا دون نصح . إني لم أكد أرى مجرد صورتها حتى بهر نورها لبّي، ولكني عندما أنظر إلى مميزاتها الكاملة لن يكون هناك من سبب إلا أن أكون كفيفاً . . . والآن إن استطعت سأكبح جماح حبي الضال وإلا فإني سأبذل جهدي لكي أظفر بها .

(يخرج)

المشهد الخامس

(ميلانو ـ شارع بالقرب من رصيف الميناء ، وحافة قريبة جداً منه)

(سبيد يقابل لونس وكلبه)

سبيد : لونس . . . بحق أمانتي ، مرحباً بك في ميلانو .

لونس : لا تقسم ، أيها الفتى الغر فلست أستأهل الترحاب . . . إنني أعلم على الدوام . . . أن المرائي المتملّق لا يسلم من الهلاك إلا إذا شنق ، ولا يرحب به في مكان حتى يدفع مبلغاً معيناً ، وتقول له المضيفة مرحباً بك .

سبيد : تعال ، أيها الأبله . . . فسأذهب بك إلى الحانة فوراً ، حيث تحصل بمبلغ واحد ، من خمسة بنسات ، على خمسة آلاف مرحباً بك . . . ولكن قل لي أيها اللعين كيف فارق مولاك السيدة جوليا .

لونس : حقاً ، بعد أن اتصلا جادين افترقا ، في سهولة ، مازحين .

سبيد : ولكن هل ستقترن به .

لونس : لا .

سبيد : كيف إذن ؟ هل سيقترن هو بها ؟ .

لونس : كلا ، وهذا أيضاً لا .

سبيد : ماذا إذاً؟ هل فسخا خطبتهما وانفصلا ؟

لونس : كلا لم يفصم بينهما شيء .كلاهما سليم معافى كالسمكة .

سبيد : إذن كيف انتهى الأمر بينهما ؟ .

لونس : حقاً ، هكذا . . . إذا حسن الأمر معه فسوف يحسن الأمر معها كذلك .

سبيد : يا لك من حمار .أنا لا أفهمك .

لونس : يا لك من غبي أحمق ، إذا كنت لا تفهم ، فإن هراوتي لتفهمني .

سبيد : هراوتك تفهم ما تقول . . .

لونس : نعم وما أنا أفعله أيضاً . . . انظر يا هذا ، حسبي أن أتوكأ على هراوتي وهي تفهمني .

سبيد : يقيناً ! إنها تقوم تحتك .

لونس : لأن تقوم تحت أو أن تدرك وتعي الأمر سيان .

سبيد : ولكن قل الحق . . . أيكون زفاف ؟ .

لونس : اسأل كلبي . . . إذا قال نعم فسوف يصير . . . وإذا قال كلا فسوف يصير وإذا

بصبص بذيله ولم يقل شيئاً فسوف يصير .

سبيد : الخلاصة إذن ، ان الزفاف سيتم .

لونس : إنك لن تقدر أن تحصل على هذا السر مني ، إلا بالكناية والامثال .

سبيد : ليتني أحصل عليه بهذه الوسيلة . . . ولكن ما تقول يا لونس في أن سيدي قد أصبح مدلهاً مرموقاً ؟ .

لونس : إنني لم أعرفه أبداً على عكس ذلك .

سبيد : عكس ماذا ؟ .

لونس : بل أبله مرموق . . . فكما تقول أنت ذلك عنه .

سبيد : بل إنك أيها الحمار الفاسق تخطىء فهمي .

لونس : يا أيها الأبله إنني لا أعنيك، وإنما أعني سيدك .

سبيد : أنا أخبرك ، أن سيدي قد أصبح مدلهاً متأجج العواطف .

لونس : أنا أخبرك أنني لا آبه حتى ولو أحرق نفسه هياماً. إن أردت تعال معي إلى الحانة ، وإن لم ترد فأنت عبراني يهودي ، ولست مستحقاً بأن تسمى مسيحياً .

سبيد : لماذا ؟ .

لونس : لأنه ليس لديك نزوع كاف إلى الخير يجعلك تشرب خمر الكنيسة في الأعياد المقدسة مع مسيحي ، فهل أنت ذاهب ؟ .

سبيد : في خدمتك .

(يدخلان الحانة)

المشهد السادس

(يمر بروتوس ببطء في طريقه إلى رصيف الميناء)

بروتوس : أأهجر جولياي . . . أأحنث بقسمي ؟ وإن عشقت سيلفيا الجميلة . . . أأحنث بقسمي ؟ وإن أسأت إلى صديقي ، فسوف أكون شديد الحنث بقسمي . . . بل إن تلك القوة التي أجبرتني على القسم أولاً ، هي التي تغريني بهذا الحنث الثلاثي ، فالحب هو الذي أمرني أن أقسم ، والحب هو الذي يأمرني أن أحنث . أيها الحب الذي أغرى ، إن كنت قد أثمت فعلمني ، أنا عبدك الذي أغريته ، أن أغفر الإثم ، لقد كنت أعشق أولاً كوكباً متلألئاً ، أما الآن فإني أعبد شمساً علوية سماوية . إن العهود التي أبرمت بدون تروٍّ، يجوز أن تحل عقدتها عن روية . ويحتاج إلى العقل من يحتاج إلى الإرادة المصممة ، ليمرّن عقله على أن يستبدل الشر بما هو أحسن ، يا للعار ، يا للعار ، أنت أيها اللسان لا

تستحق الاحترام لأنك تنعتها بالسوء ، وهي التي فضلت سلطانها عليك وأقسمت عشرين ألف قسم بالبقاء على عهدها . وأنا لا أهجر من أجل أن أحب ، ومع ذلك فها أنا أفعل . . . أهجر الحب هناك لكي أحب هنا . . . وأنا أفقد جوليا ، وأفقد فالانتين ولكن إذا حافظت عليهما فلا بد أنني سأفقد نفسي . . . وإذا فقدتهما فسأجد ذاتي بفقدهما . أجد ذاتي في مقابل فالانتين ، وسيلفيا في مقابل جوليا . وأنا أعز على نفسي من صديقي ، لأن الحب ، في مكنونه ، لا يزال أعز وأثمن . وسيلفيا ـ ولتشهد السماء التي خلقتها جميلة ـ تبدو جوليا إلى جانبها حبشية سمراء . . . سأنسى أن جوليا تعيش . ، ذاكراً أن حبي لها قد مات . . . وسأعد فالانتين خصماً ، وأعمل على أن تكون سيلفيا حبيبة أجمل . . . وأنا لا أستطيع الآن أن أبرهن على وفائي لنفسي . . . دون أن أكيد لفالانتين . . . إنه ، في هذه الليلة ، ينوي أن يتسلق سلماً من الحبال إلى نافذة مخدع سيلفيا السماوية . . . وقد اتخذ مني ناصحاً ، وأنا غريمه . والآن سأخبر

والدها في الحال بما ينويان من تنكر
وهروب . فيبادر ، وهو في ثورة غضبه ،
بنفي فالانتين لأنه يريد أن يزوج ابنته إلى
توريو فإذا ما نُفي فالانتين فإني سأفسد
بسرعة خطة توريو البليد . . . فيا أيها
الحب . . . أعرني أجنحة ، تطير بي لنيل
مبتغاي ، كما أعرتني عقلاً أدبر به هذه
الخطة . . .

(يمضي)

المشهد السابع

(فيرونا . . . غرفة في بيت جوليا)

(جوليا تدرس خريطة ، لوسيتا تخيط ثياباً)

جوليا : (ترفع رأسها) أشيري عليّ يا لوسيتا ، أيتها الفتاة المرهفة ، ساعديني بل إنني أناشدك في حب رحيم ـ فأنت اللوح الذي تدوَّن عليه جميع أفكاري وتنقش ـ أن تعلميني وترشديني إلى وسيلة ناجعة لكي أقوم ، دون المساس بشرفي ، برحلة إلى حبيبي بروتوس . . .

لوسيتا : يا أسفاه ، إن الدرب شاق طويل .

جوليا : إن الحاج المؤمن ذا الإيمان الصادق لا يعرف المشقة ، وهو يذرع الممالك بخطواته الضعاف . فما بالك بمشقة تطير بأجنحة الحب إنها لأقل كثيراً وبخاصة إذا كان الطيران إلى حبيب عزيز ، كامل قدسي الكمال ، كالسيد بروتوس .

لوسيتا : خير لك أن تصبري حتى يرجع بروتوس .

جوليا : ألا تعرفين أن طلعته غذاء نفسي ؟ ارحمي

الجوع الذي أمرضني ، وجعلني مشتاقة إلى ذلك الغذاء فترة طويلة كل هذه المدة ، ولو أنك عرفت لمسات الحب في حنايا الفؤاد ، لكان مثلك في إخماد جذوة الحب بالكلمات ، كمثل الذي يؤجج النار بالثلج .

لوسيتا : إنني لا أريد أن أخمد نار حبك الملتهب ولكني أوهن ثورة النار ، حتى لا يعلو لهيبها فوق مستوى العقل .

جوليا : كلما زدت في حصرها ، ازداد أجيجها . وأنت تدركين أن التيار الذي ينساب هادىء الخرير إذا ما أوقف ، فإنه يثور تبرماً . . وأما إذا لم يعق مجراه الجميل عائق ، فإنه يعزف موقعاً ، على أحجاره البرّاقة المتألقة ، بالموسيقى الشجية ويقبل كل عشيبة يمر بها في حجته قبلة رقيقة ، ويهيم على وجهه في منعطفات متعرجة كثيرة ، ويبلغ المحيط الرحب ، بعزيمته الغلابة ، وعلى هذا اتركيني أذهب ، ولا تعترضي سبيلي ، وسأتجمل بالصبر كالجدول الهادىء وسأحيل كل خطوة متعبة تسلية وترفيهاً حتى تصل بي الخطوة الأخيرة إلى حبيبي وهناك أستريح

كما تستريح النفس المباركة في الجنان
بعد طول شقاء .

لوسيتا : ولكن في أي لباس ستسافرين ؟ .

جوليا : لن أذهب في لباس سيدة حتى أمنع بذلك أي لقاء ماجن من الفاجرين . فجهزي لي ، يا لوسيتا الرقيقة ، تلك الملابس التي تناسب الغلام التابع ذا السمعة الطيبة .

لوسيتا : وإذاً فإنه يجب على عصمتك أن تقص شعرها .

جوليا : كلا ، يا فتاة ، سأعقده إلى أعلى في أشرطة من الحرير بعشرين عقدة ، عجيبة ، مزهوة من عقد الحب الصادق ، فإن ظهوري في زي عجيب مزركش قد يلائم شاباً في مقام أسمى مما أريد أن أبدو به .

لوسيتا : على أي طراز - يا سيدتي - أجعل سراويلك .

جوليا : إن هذا يطابق قول التابع لسيده قل لي يا مولاي الجليل ، على أي اتجاه تريد أن تلبس حزامك ؟ . إنني لأريد أحسن ما تفضلين من الأنماط يا لوسيتا .

لوسيتا : يتطلب الأمر ، يا سيدتي ، تزويد ملابسك بقطعة ظاهرة مزدانة من ألبسة الذكور .

جوليا : ويحك يا لوسيتا ، فإن ذلك يبدو دميم المنظر .

لوسيتا : إن الجورب المستدير الضيق يا سيدتي لا يساوي دبوساً ، إلا إذا جهزته بتلك القطعة من الملابس التي تشبك فيها الدبابيس .

جوليا : بقدر ما تحبينني يا لوسيتا حضري لي ما ترينه مناسباً ، على أن يكون لائقاً ولكن أخبريني يا فتاة ، كيف يحكمُ الناس عليّ لقيامي بمثل هذه الرحلة النزقة ؟ . لشد ما أخاف أن تجعلني موضع تشهير .

لوسيتا : إذا كنت تعتقدين ذلك فابقيْ في البيت إذن ولا تسافري .

جوليا : إطلاقاً ، ذلك ما لن أفعل .

لوسيتا : لا تمعني الفكر إذن في الفضيحة وارحلي . . . فإن رضي بروتوس عن رحلتك عند وصولك إليه فليس بهام أن يغضب عليك أحد هنا بعد سفرك ولكني أخاف أن يعز رضاه على كل حال .

جوليا : هذا أقل ما أخافه يا لوسيتا ، فألف يمين

أقسمها ، وبحراً من الدموع ذرفها
وبراهين أخرى تؤكد الحب الذي لا حدود
له ، كل ذلك يضمن لي أن أكون موضع
ترحيب بروتوس .

لوسيتا : هذه ، يا سيدتي ، في متناول الرجال
المخادعين .

جوليا : إن السفلة هم الذين يقومون بها لأغراض
دنيئة ولكن الكواكب التي حكمت في يوم
ميلاد بروتوس أصدق وأشد إخلاصاً فإن
كلماته عقود ومواثيق وإيمانه بشارات
للمستقبل ، ووجهه صادق ، وأفكاره
طاهرة ، ودموعه رسل أوفياء أرسلها قلبه ،
وفؤاده بعيد عن الخيانة بعد السماء عن
الأرض .

لوسيتا : أسأل الله أن يحقق بروتوس ذلك عندما
تصلين إليه .

جوليا : والآن ، ما دمت تحبينني فلا تظلميه ، بأن
تسيئي الظن بوفائه ولن تكوني مستحقة
حبي ، إلا بحبك إياه . والآن هيا معي
إلى حجرتي لتكتبي ما أحتاج إليه ، لكي
تزوديني في رحلتي المشتاقة إليه وأنا أترك
بتصرفك جميع ما أملكه متاعي ـ ضياعي ـ

سمعتي ، وكل ما أريده في مقابل ذلك ، أن تـرحليني في الحال . تعـالي ، لا تمانعي ، وهلم لما نحن فيه فقد نفد صبري من تأخري .

(تخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(ميلانو- أمام قصر الدوق- الدوق- توريو وبروتوس يتقدمون)

الدوق : يا سيد توريو ، بإذنك لحظة ، أرجوك - فإن لدينا بعض الأسرار ، نريد أن نتكلم بها . (توريو ينحني وينصرف) والآن أخبرني يا بروتوس ماذا تريد مني ؟ .

بروتوس : يا مولاي الجليل، إن ما أود أن أكشف لك عنه يحدوني أن أخفيه حق الصداقة علي ، ولكن عندما أتذكر أياديك السابقة التي أسديتها إلي - ولو أنني لا أستحقها - أجد الواجب يلح علي أن أفصح عما لم يكن لتستطيع أية فائدة دنيوية، أن تستخلصه مني. . ألا فاعلم، أيها الأمير العظيم، أن صديقي السيد فالانتين ، قد عزم أن يختطف ابنتك هذه الأمسية. . ولقد اطلعت ، بوسيلة خاصة، على هذا الإجراء. وإني لأعلم أنك نويت أن تزوجها إلى توريو الذي تمقته ابنتك الرقيقة، واختطافها منك على هذا الشكل

خليق أن يزعج مِزاجك وأنت في هذا العمر . . وهكذا رأيت أن أقوم بواجبي فأحول بين صديقي وبين ما عزم عليه وفضلت ذلك على أن أستر الأمر عنك فألقي على رأسك عبئاً من الأحزان يحملك إلى رمسك قبل الأوان . .

الدوق : يا بروتوس ، إنني أشكرك لرعايتك الوفية التي سأبقى أسيرها ما حييت حتى أكافئك عليها فأنا كثيراً ما لاحظت حبهما عندما كانا يعتقدان أنني مستغرق في النوم ، وكثيراً ما نويت أن أطرد السيد فالانتين من رفقتها ومن بلاطي . . . ولكني خفت أن أتمادى في حذري ، فأعرّض الرجل لفضيحة لا يستحقها ، وهو اندفاع قد تجنبه إلى الآن وقد منحته عنايتي الرفيعة ، حتى أكشف ما بحت به أنت الآن إليَّ من أسرار . ولكي تعلم حيطتي لذلك فإني أعرف أن الشباب الغض يمكن إغواؤه سريعاً ، ولذا فإني أجعلها تبيت ليلاً في برج علوي مفتاحه أحتفظ أنا به دائماً وبهذا لا يمكن أن تختطف .

بروتوس : يجب أن تعلم يا مولاي النبيل أنهما ابتكرا وسيلة ، تساعد على التسلق إلى نافذة

حجرتها ، لينزلها بسلم من الحبال . . .
ومن أجل ذلك ذهب الآن العاشق الفتى
وسيأتي بالحبل منِ هذا الدرب في الحال
فإذا أردتَ تمكنتَ أن تعترض سبيله .
ولكن يا مولاي الطيب ، عليك أن تفعل
ذلك بدهاء فائق حتى لا يتجه ظنه إلى
أنني بحت بالسر . فإن حبي لك ، لا
مقتي لصديقي هو الذي جعلني أفشي
ذلك التدبير .

الدوق : أقسم بشرفي ، أنه لن يعلم أنني عرفت
منك شيئاً خاصاً بهذا الموضوع .

(يخرج)

بروتوس : وداعاً يا مولاي ، فالسيد فالانتين آت .

(يرجع إلى داخل القصر)

(يمر فالانتين مسرعاً يلبس عباءة وحذاء طويلاً)

الدوق : يا سيد فالانتين ، إلى أين أنت ذاهب بهذه
السرعة ؟ .

فالانتين : عن إذنكم يا سيدي ، إن رسولاً ينتظرني
ليحمل خطاباتي إلى رفاقي وأنا ذاهب
لتسليمها إليه .

الدوق : هل هي من الأهمية على جانب كبير ؟ .

فالانتين : إنما فحواها يدور حول صحتي وسعادتي

في بلاطك .

الدوق : إذن ، لا بأس . . . فانتظر لحظة برفقتي . . . فإني أود أن أفضي إليك ببعض الأمور التي تمسني من قرب . . . وهي تتطلب منك أن تكون كتوماً على سرها .

(يمسكه من ذراعه)

إنك لا تجهل أني نويت أن أزوج صديقي السيد توريو ، من ابنتي .

فالانتين : أعلم ذلك جيداً ، يا مولاي ، وعلى اليقين فإن الصفقة قيّمة شريفة . وإضافة إلى ذلك فإن السيد كله فضل وكرم ، وجاه وأخلاق تليق بزوجة كابنتك الجميلة ألا تستطيع سيادتك أن تستميلها ليروق في نظرها . . ؟ .

الدوق : كلا صدقني ، إنها غضبة ، فظة ، جموح ، متكبرة ، عاصية ، عنيدة ، تفتقر إلى الشعور بالواجب ، وهي لا تراعي أنها ابنتي ، ولا تخاف مني كما تخاف الابنة من الأب . واسمح لي أن أخبرك ، ان كبرياءها ـ بعد أن راجعت نفسي فيه ـ قد حوَّل حبي عنها ، وكلما فكرت في أن ما بقي من عمري كان يجب أن يكرم بواجبها

البنوي ، فقد نويت الآن أن أتخذ لي زوجة وأطردها لتذهب إلى من يرضى بها . . . وليكن جمالها هو مهرها كله . أما أنا وأما ممتلكاتي فهي لا تقدّر قيمتهما .

فالانتين : وماذا ، تريد مني ، سيادتك أن أفعل في هذا الشأن ؟ .

الدوق : إن هنا في « فيرونا » سيدة أحبها . ولكنها متكبرة خجول ، وهي لا تقدر فصاحتي المكتملة . . . ولذلك أريدك أن تكون الآن دليلي ومرشدي ، لأنني قد نسيت الغزل منذ زمن بعيد ، ثم إن ذوق العصر قد تبدّل ، كيف وبأية طريقة أتصرف ، في أمري هذا ، التصرف الذي يرضي عينيها المتألقتين كالشمس ؟ .

فالانتين : اكسبها بالهدايا إذا لم تكن تعرف قيمة الكلمات ، فكثيراً ما تكون الدرر الخرساء أسرع لأن تلعب ، بأسلوبها الصامت ، بعقل المرأة .

الدوق : ولكنها احتقرت هدية بعثتها إليها .

فالانتين : أحياناً تحتقر المرأة أحسن ما يوافقها . . . ابعث إليها هدية أخرى . . . ولا تقنط منها

أبداً لأن الاحتقار أول الأمر يزيد الحب فيما بعد ، فإن كانت تتجهم فليس ذلك عن كراهية لك ، ولكن من أجل أن تولد فيك قدراً أكبر من الحب . . . وإذا كانت تلوم فإنها لا تعني بذلك أن تبعدك عنها ، فمن المؤكد أنه حتى الحمقى يصيبهم الجنون إذا هجرهم الناس ، ولا تتردد ، مهما قالت ، فإن كانت تقول لك اذهب فإنها لا تعني « ابتعد » فتملقْ وامتدحْ وأثن ومجدْ ما فيهن من نعوت الحسن والجمال ؛ فإن كن سمراوات سمرة ما بعدها سمرة فقل إن لهن وجوه الملائكة . فالرجل الذي يملك لساناً ولا يتمكن أن يفوز بالمرأة بلسانه ، ليس برجل .

الدوق : ولكن المرأة التي أعنيها قد خطبها أصدقاؤها لفتى شريف فتيّ له مركزه ومكانته وقد مُنعت بشدة من أن يتردد لعندها الرجال، وهكذا لا يقدر رجل أن يزورها في رائعة النهار .

فالانتين : إذن فلتكن الزيارة إليها ليلاً .

الدوق : أجل ، ولكن الأبواب مقفلة ، والمفاتيح في مكان أمين ، حتى لا يتمكن أي رجل من أن يصل إليها بالليل .

فالانتين : والمنافذ الأخرى ألا يستطيع أحد أن يدخل من نافذتها ؟ .

الدوق : إن غرفتها عالية وبعيدة جداً عن الأرض مائلة بحيث لا يستطيع المرء أن يتسلق إليها دون أن يتعرض لمخاطرة أكيدة بحياته .

فالانتين : إذن، فإن سلماً من الحبال حسن الصنع يقذف إلى أعلى ويزود بزوج من الخطاطيف المثبتة قد يجدي لتسلق برج آخر يشبه برج هيرو ويستطيع لياندر الشجاع أن يخاطر بتسلقه .

الدوق : والآن ، بما أنك رجل شريف الحسب والنسب دلني من أين أحصل على مثل هذا السلم ؟ .

فالانتين : ومتى تود أن تستعمله ؟ أرجوك ، يا سيدي ، أن تخبرني بذلك ؟ .

الدوق : في هذه الليلة نفسها ، لأن الحب كالطفل يتوق إلى كل ما يمكن أن يحصل عليه .

فالانتين : سأحضر لك هذا السلم حوالى الساعة السابعة .

الدوق : ولكن ، اسمعني . . . فأنا أذهب إليها بمفردي . فما هي أفضل الطرق لنقل

السلم إلى هناك ؟ .

فالانتين : سيكون خفيف الوزن يا سيدي ، حتى انك لتقدر أن تحمله تحت عباءة أياً كان طولها .

الدوق : وهل عباءة في طول عباءتك تفي بالغرض ؟ .

فالانتين : نعم يا مولاي الجليل .

الدوق : إذن دعني أجرب عباءتك . فسأحضر عباءة في مثل طولها .

فالانتين : إن أي عباءة لتفي بالغرض يا مولاي .

الدوق : ترى كيف يكون شكلي ، إذا ارتديت عباءة ؟ أرجوك ، أن تدعني أجربها .

(يجذب عباءة فالانتين فيسقط السلم ومعه رسالة على الأرض)

ما هذه الرسالة ماذا فيها ـ إلى سيلفيا ؟ وها هي ذي وسيلة تصلح لغرضي ، سأكون جسوراً بحيث أفض الرسالة مرة واحدة .

(يقرأ)

« إن أفكاري تستكن مع حبيبتي سيلفيا في كل ليلة ، وهي إماؤها المسخرة لي أنا الذي أرسل بها طائرة إليها . فيا ليت

يتمكن صاحبها أن يروح ويجيء في خفتها فإنه إذ ذاك يقدر أن يضع نفسه حيث ترقد هذه الأفكار التي لا شعور لها ، إن رسلي من أفكاري تجد راحتها في صدرك الطاهر بينما أنا مليكها ، الذي ألح عليها بالذهاب إلى هناك وإنني ألعن الحظوة التي نالتها لأنني أنا نفسي أريد ما حصل عليه عبيدي من حظ وأنا ألعن نفسي لأنني أنا الذي بعثتها لأنها استقرت حيث كان يجب أن يكون سيدها ثم ما هذا ؟ « سيلفيا في هذه الليلة سأحررك وأطلق سراحك » . الأمر إذن كذلك . . . وهذا هو السلم لتحقيق الغرض (يتجه إلى فالانتين) أنت يا فيثون لأنك ابن ميروب أتريد أن تقود عربة السماء وتحرق العالم بحماقتك الجريئة . أتريد أن تصل إلى النجوم لأنها تضيء لك الدرب . اغرب أيها الطفيلي الوضيع ، أيها العبد المعجب بنفسه ، وامنح بسماتك الخادعة إلى اللواتي على شاكلتك ، واعلم أن لك في صبري - وهو أكثر مما تستحق - فرصاً لمغادرة البلاد . . . فاشكرني على هذا التفضل الجديد الذي يفوق كل ما عملته لأجلك ، مما لا تستأهله فإن تباطأت في

البقاء في بلادي أكثر من الوقت الذي
تتيحه لك أسرع رحلة لمغادرة بلاطنا
الملكي ، فَوَحقّ السماء لسوف يتجاوز
غضبي حبي لابنتي . . . أو لك . . .

(يلقي فالانتين بنفسه على قدمي الدوق)

اغـرب فلن أنصت إلى اعتـذارك
الأجوف . . . ولكنك إذا كنت تحب
حياتك فأسرع بالذهاب من هنا .

(يدور على عقبه ويدخل)

فالانتين : (وقد خر على وجهه) ولماذا لا يدركني
الموت بدلاً من أن أحيا معذباً ؟ والموت
بالنسبة لي هو الفراق عن نفسي ، وسيلفيا
هي نفسي . . . ففراقها هو فراق نفسي
لنفسي . . . آه . . . أيها الفراق الميت
كيف يكون الضوءُ ضوءاً إذا لم يكن في
المستطاع رؤية سيلفيا ؟ وكيف يكون
السرور سروراً إذا لم تكن سيلفيا قريبة ؟
اللهم إلا أن أتخيل أنها قريبة وأتزود من
طيف الكمال . وإذا لم أكن قريباً من
سيلفيا في سكون الليل ، فـلا يصدح
العندليب بالموسيقى . . . وإذا لم يتح لي
أن أتملى بالنظر إلى سيلفيا في ضوء النهار
فلن يكون لي نهار أنظر إليه . إنها روحي

ولن أحيا إذا لم أحز رضاها ولم أتلق النور ولم أعزز بتأثير سلطانها الجميل وأنا لا أنجو من الموت بأن أفر من الحكم عليّ بالموت . وإن تماهلت فسأكون طوع أمر الموت وفي خدمته . ولكن إذا فررت من هنا فسوف أفر من حياتي .

(يدفن وجهه في الأرض)

(بروتوس ولونس يخرجان من القصر)

بروتوس : انطلق يا غلام . . . انطلق . . . انطلق وفتش عنه .

لونس : (يعدو هنا وهناك ويصرخ بصوت عال) هيه . . . هيه .

بروتوس : ماذا ترى ؟ .

لونس : من نفتش عنه (يتشمم فالانتين) ما من شعرة في رأسه ولكن شعار الحب .

بروتوس : (ينحني عليه) فالانتين . . .

فالانتين : لا . . .

بروتوس : من إذن ؟ روحه ؟ .

فالانتين : ولا هذا ! .

بروتوس : وماذا إذن ؟ .

فالانتين : لا شيء .

لونس : وهل اللاشيء يتكلم ؟ يا سيدي ، أأضرب ؟ .

بروتوس : ومن الذي تضربه ؟ .

لونس : لا شيء .

بروتوس : يا وغد ، ارفع يدك . . .

لونس : لماذا يا سيدي ، فسوف أضرب لا شيء . . . أرجوك .

(يرفع عصاه)

بروتوس : أيها العبد أقول لك ارفع يدك . . . يا صديقي فالانتين كلمة واحدة .

فالانتين : لقد صمّت أذناي فلم تعودا تقدران على سماع الأنباء السارة فلقد تملكهما من الأنباء السيئة ما يكفي .

بروتوس : إذن ، فسأدفن أنبائي في الصمت الأخرس، لأنها ثقيلة على السمع ، سيئة . .

فالانتين : (يرفع رأسه) هل توفيت سيلفيا ؟ .

بروتوس : كلا يا فالانتين . .

فالانتين : لا وجود لفالانتين أبداً لدى سيلفيا القدسية هل خانت عهدي ؟ .

بروتوس : كلا يا فالانتين .

فالانتين : لن يكون لسيلفيا عاشق يحبها إذا هي حنثت باليمين . ماذا عندك من الأنباء ؟ .

لونس : يا سيدي ، هناك بلاغ رسمي بأنك قد

نفيت من البلاد .

بروتوس : بأنك قد نفيت . هذه هي الأنباء . . .
نفيت من هنا ، ومن سيلفيا ، ومن
صديقك . . .

فالانتين : لقد شبعت من هذا الحزن من قبل ،
والمزيد منه يصيبني بالتخمة . . . هل
علمت سيلفيا أنني نفيت ؟ .

بروتوس : أجل . . . أجل . . . وقد ذرفت ، على
هذا المصير النافذ الذي لا رجعة عنه ،
بحراً من اللآلىء المصهورة ، يدعوها
البعض دموعاً ، وقدمتها عند قدمي والدها
الغليظتين، ثم ركعت على ركبتيها مقدمة
نفسها الخاضعة مع عبراتها ، ولوت
ساعديها اللتين جمّلهما البياض وكأنما
أصابهما الكرب الآن فحالتا في بياض
كالشمع . لكن الركبتين الجاثيتين ،
واليدين الصافيتين المتضرعتين والزفرات
الحزينة ، والأنين المكتوم ، والعبرات
الغضة المسكوبة ما استطاعت أن تنفذ إلى
قلب مولاها القاسي . وقد أصر على أنه
لا بد أن يقتل فالانتين إذا أمسك به .
وفوق ذلك فإن شفاعتها له أحنقته حتى إن
توسلها له ليتراجع عن نفيك قد جعله يأمر

بزجها في سجن قريب ملحاً في تهديدها بالإقامة المؤبدة فيه .

فالانتين : كفى . . . إلا إذا كانت اللفظة التالية التي ستتفوه بها ذات تأثير خبيث في حياتي . فإن كانت كذلك فأتوسل إليك أن تهمس بها في أذني كأنها صلاة موت أخيرة ، تختم همومي التي لا نهاية لها .

بروتوس : توقف عن البكاء ، على ما لا حيلة لك فيه وتدبر كيف تلتمس المساعدة على أحزانك . . . فالزمن ينبت كل خير ويتعهده وإن بقيت هنا فلن تتمكن أن تشاهد حبيبتك . . . إضافة إلى ذلك ، فإن بقاءك سيختصر حياتك فتموت قبل الأوان . إن الأمل عصا المحب . . . فارحل عن هذا المكان متوكئاً عليه واستخدمه لتقضي على أفكارك البائسة . . . وتستطيع خطاباتك أن تكون هنا ولو كنت أنت بعيداً ، وهي ـ أي الخطابات ـ إذا كتبت إلي لسوف تسلم بل سترقد في صدر حبيبتك الأبيض بياض اللبن . . . (فالانتين ينهض) إن الزمن الآن لا يساعد على لوم أو احتجاج فتعال فسوف أوصلك إلى باب المدينة .

(بروتوس يقوده منصرفاً)

وقبل أن نفترق ، تبسط في الكلام عن كل ما يمس أمور غرامك . وما دمت تحب سيلفيا فاركب المخاطر من أجلها لا من أجلك أنت وتعال معي .

فالانتين : أرجوك يا لونس ، إذا رأيت غلامي فاطلب منه أن يسرع وأن يقابلني عند الباب الشمالي .

بروتوس : اذهب ، يا هذا وفتش عنه . . . تعال يا فالانتين . . .

فالانتين : آه ، يا عزيزتي سيلفيا ، يا فالانتين المنكود .

(ينصرفان)

لونس : انظر يا هذا ، أنا أبله ، ومع ذلك فلي من العقل ما يجعلني أعتقد بأن سيدي رجل سافل ، وهذا في الحقيقة إنه سافل واحد وليس الآن على قيد الحياة شخص يعرف أنني أحب . . . ومع ذلك فأنا أحب ولا يستطيع زوج من الجياد أن يخرج هذا السر من صدري . . . ولا اسم من أحبها . ومع ذلك فهي امرأة ، ولكن أي امرأة ، لن أبوح باسمها إلى ذاتي . . . ومع ذلك فهي جارية تحلب البقر . . . ومع ذلك فهي ليست جارية . . . لأن

حول سلوكها شائعات . . . ومع ذلك فهي
جارية لأنها جارية سيدها وتخدمه بالأجر
(يفتش في جيوبه) وتفوق فضائلها
فضائل الكلب الصغير الأليف وهذا بلا
ريب كثير على مسيحية فقيرة (يخرج
ورقة) وها هو بيان بأحوالها : أول بند أن
بمقدورها أن تفتش وتحمل ، لعمري ان
الحصان لا يستطيع أكثر من ذلك ، كلا
إن الحصان لا يستطيع أن يفتش . إنه
يستطيع أن يحمل فقط لا غير . أن تحلب
اللبن ، اسمع إن هذه لفضيلة حلوة ، في
فتاة نظيفة اليدين .

(يدخل سبيد)

سبيد : كيف حالك الآن يا سيد لونس؟ ماذا من أنباء في براعة فنك؟

لونس : في سفين سيدي، إنها لفي البحر .

سبيد : إن مرضك التليد لم يزل كما هو ، تحول كل كلام عن معناه . . . ما الأنباء إذن في صحيفتك ؟ .

لونس : أسود أنباء سمعتها في حياتك .

سبيد : ماذا يا رجل وكيف سوادها . . ؟

لونس : إنها لسوداء كالمداد .

سبيد : دعني أقرأها .

لونس : تباً لك من أحمق إنك لا تستطيع أن تقرأ .

سبيد : تكذب . . . بل أستطيع .

لونس : سأمتحنك : أخبرني من أنجبك ؟

سبيد : عجباً ، ابن جدي

لونس : أوه ، أيها الأمي الحقير ، إنه ابن جدتك . . . هذا يدل على أنك لا تستطيع القراءة .

سبيد : تعال يا غبي تعال . . . امتحني في صحيفتك .

لونس : هاك هي (يناوله الورقة) وليوفقك القديس نيقولا .

سبيد : فقرة فريدة بإمكانك أن « تحلب » .

لونس : أجل ، أما هذا فتقدر عليه .

سبيد : فقرة أخرى تخمر جعة لذيذة .

لونس : ومنها أتى المثل ، هناء قلبك ، في أن تضع جعة لذيذة .

سبيد : فقرة ، بإمكانك أن تخيط الملابس .

لونس : هذا مثل قولك ، أتستطيع خط . . . كذا .

سبيد : فقرة بإمكانك أن تنسل .

لونس : وما احتياج الرجل إلى نسل من امرأة ما

دامت تستطيع أن تنسج له جورباً .

سبيد : فقرة بإمكانك أن تغسل وتجلي . . .

لونس : هذه فضيلة خاصة لا تحتاج معها إلى أن تصنع وتجلد .

سبيد : فقرة بإمكانك أن تغزل . . .

لونس : سأستمتع بالدنيا وكأنما الدنيا على عجلات .

سبيد : فقرة إن لها فضائل كثيرة ، لا يمكن أن تسمى كلها .

لونس : لكأنك تقول إن لها فضائل دعية لا تعلم من هم آباؤها على التحقيق ومن ثم فليست لها أسماء .

سبيد : ولنتتبع هنا النقائص التي فيها .

لونس : جاءت في أعقاب فضائلها مباشرة .

سبيد : فقرة إنها لا تقبل من هي صائمة لرائحة فمها .

لونس : إن هـذا الخطأ يمكن أن يصلح بالإفطار . . . تابع القراءة . . .

سبيد : فقرة إن لها فماً عذباً . . .

لونس : هذا يعوض رائحة فمها .

سبيد : فقرة تتكلم أثناء نومها .

لونس : لا بأس من ذلك وهكذا لا تنام أو يزلق لسانها أثناء تكلمها .

سبيد : فقرة ، إنها لتبطىء في التحدث .

لونس : إنك لوغد يا من سجلت ذلك مع نقائصها . فعدم السرعة في الكلام هو الفضيلة الوحيدة للمرأة . . أرجوك أن تحذفها وأن تسجلها على أنها فضيلتها الأولى .

سبيد : فقرة إنها لمتعجرفة .

لونس : احذف هذا أيضاً . . . إنها تراث حواء ، ولا يمكن أن ينزع منها .

سبيد : فقرة ، ولا أسنان لها .

لونس : لا أهتم لذلك مطلقاً . . . لأنني أحب فتات الخبز .

سبيد : فقرة ، إنها مشاكسة .

لونس : أحسن ما في الأمر أن ليس لها أسنان تعض بها .

سبيد : فقرة ، إنها دوماً تحتسي ما تخمِّر من الخمور وتمتدحه .

لونس : إذا كانت خمرها شهية فسوف تحتسيها . . فإذا لم تفعل هي ذلك فسوف أحتسيها أنا

لأن الأشياء الطيبة يجب احتساؤها وامتداحها .

سبيد : فقرة ، إنها مبذرة جداً .

لونس : من ناحية لسانها لا تتمكن لأنه مكتوب أنها مبطئة في الكلام . أما من ناحية محفظتها فإنها لن تقدر على التبذير لأنني سأحافظ على قفلها دائماً . . . أما إذا أسرفت في شيء آخر فلها ذلك لأن هذا ما لا قدرة لي عليه . . . هذا جيد استمر . . .

سبيد : فقرة ، إن لها شعراً أكثر من العقل وأخطاء أكثر من الشعر وثروة أكثر من الأخطاء .

لونس : توقف عندك ، سأظفر بها . لقد تلكأت في أنها تلائمني أم لا عند الفقرة الأخيرة مثنى وثلاث . . . فاتل عليّ الفقرة مرة أخرى .

سبيد : فقرة ، إن لها شعراً أكثر من العقل .

لونس : شعراً أكثر من العقل . ربما تمكنت من إثبات ذلك فإن غطاء الملح يخفي الملح ، ولذلك فإن الغطاء أكبر من الملح ، وإذن فالشعر الذي يغطي العقل أكثر من العقل لأن الأكبر يخفي الأصغر ، ثم ماذا بعد ؟ .

سبيد : وأخطاء أكثر من الشعر .

لونس : هذا مريع . . . ليت ذلك العيب لم يذكر .

سبيد : وثروة أكثر من الأخطاء .

لونس : إن هذه الجملة لتجعل الأخطاء لطيفة جيدة . سأظفر بها . . . وإذا تم الزواج والتكافؤ فلا شيء محال . . .

سبيد : ثم ماذا بعد ؟ .

لونس : إذ ذاك لأقولن لك إن سيدك ينتظرك عند الباب الشمالي للمدينة .

سبيد : ينتظرني . . .

لونس : ينتظرك . . أجل . . ومن تكون ؟ لقد انتظر من هم أفضل منك .

سبيد : وهل يجب أن أذهب إليه ؟ .

لونس : بل يجب أن تركض إليه لأنك تأخرت طويلاً ، ولذلك فإن مجرد الذهاب لا يكاد يجدي في شيء . . . ينبغي أن تركض .

سبيد : لماذا لم تخبرني من قبل ؟ فلتصب رسائلك الغرامية بالداء الوبيل .

(ينصرف عدواً)

لونس : والآن هل يجلد لقراءة رسالتي . . . يا

للعبد الفظ الذي يتطفل على أسرار
الناس . . . سأتبعه ، لكي أبتهج بما
يصيبه من سيده .

(يتبعه)

المشهد الثاني

(ميلانو ـ غرفة في قصر الدوق)

(الدوق . . . وتوريو)

الدوق : يا سيد توريو ، لا تخف شيئاً ، فإنها سوف تحبك . لقد ذهب فالانتين من أمام ناظريها .

توريو : ولقد وصل احتقارها لي منتهاه منذ أن نفي ، فتبرأت من رفقتي وسخرت مني ، وإنني ليائس من أن أحظى بها .

الدوق : إن الحب ، هذا الإمبراطور الضعيف ، مثله كمثل تمثال مطمور في جوف الثلج . . . فما هي إلا ساعة حرارة حتى يذوب ويفقد هيئته . . . وقليل من الوقت كفيل بإذابة أفكارها المتجمدة ، ولسوف تسلو فالانتين الذي لا قيمة له .

(يدخل بروتوس)

ماذا لديك ، يا سيد بروتوس ، هل رحل مواطنك ، بناء لأمرنا الإمبراطوري ؟ .

بروتوس : لقد ارتحل يا مولاي الجليل .

الدوق : لقد كان وقع رحيله على ابنتي أليماً .

بروتوس : قليل من الزمن ، يا مولاي ، يبيد هذا الحزن .

الدوق : هذا ما أظنه . ولكن توريو لا يعتقد ذلك يا بروتوس . إن تقديري الجيد لك ، ـ ولقد أظهرت شيئاً من أمارات الجدارة بهذا التقدير ـ يجعلني أميل إلى أن أستنير بمشورتك .

بروتوس : لا تجعلني أطمع في عطفك بأكثر مما أبيده من وفاء لعظمتك .

الدوق : إنك تدري كم أنا ذا أرغب في تحقيق هذا الزواج بين السيد توريو وابنتي ؟ .

بروتوس : أدري يا مولاي .

الدوق : وأعتقد أيضاً أنك لا تجهل كيف أنها تعارض تنفيذ رغبتي .

بروتوس : لقد قامت بذلك يا مولاي عندما كان فالانتين هنا .

الدوق : أجل إنها ما فتئت متشبثة بعنادها . . . وماذا عسانا أن نصنع لنجعل الفتاة تسلو حب فالانتين ، وتحب السيد توريو ؟

بروتوس : إن أفضل وسيلة هي أن نحط من مكانة

فالانتين وقدره ونعته بالخديعة ، والجبن ، وضعة الأصل . وهي ثلاث نعوت تكرهها المرأة كرهاً شديداً .

الدوق : أجل ، ولكنها سوف تعتقد أن هذا القول دافعه الكراهية .

بروتوس : أجل إذا قاله لها عدو له . لذلك يجب أن يقال في الوقت المناسب ، ومن إنسان تعتقد أنه صديق لفالانتين .

الدوق : إذن يجب أن تقوم أنت بالحط من مكانته وقدره .

بروتوس : وهذا يا مولاي ما أكره القيام به . . . وإنها لمهمة جد صعبة على رجل شريف وخصوصاً إذا كانت ضد صديقه الحميم .

الدوق : إذا كانت كلمتك الطيبة لا تجديه نفعاً فإن حطك من قدره لن يضره ، لذلك فإن المهمة لا ضارة ولا نافعة وخصوصاً أن الذي يرجوك أن تؤديها هو صديق .

بروتوس : لقد غلب رأيك ، يا مولاي . . . فإن استطعت أن أقوم بتنفيذ المهمة ، وهجوته بما بوسعي أن أهجوه فإنها لن تبقى طويلاً على حبه ، بل إني أقول إن هذا يقتلع جذور حبها لفالانتين ولكن لا يتوجب من ذلك أنها ستحب السيد توريو .

تورريو : لذلك يجب عليك ، عندما تستأصل حبها له ، وخوفاً من أن ينحل حبها فلا يصبح من نصيب أحد، أن تعمل على أن تثبته لي . . ويجب أن تصل إلى ذلك بمدحي أمامها وإطرائي بقدر ما تنتقص من قدر فالانتين ومكانته .

الدوق : ونحن يا سيد بروتوس أردنا أن نوكل إليك القيام بهذه المهمة لأننا نعلم ، طبقاً لما أخبرنا به فالانتين من أنك متعبد للحب ، ثابت عليه ، لا تستطيع المبادرة بالثورة ضده ، أو تغيير رأيك ، وبهذا الضمان ، سوف تكون لك حرية التردد على سيلفيا حيث تستطيع أن تتوسع في الكلام معها . . . لأنها متعبة كئيبة ، محزونة ، وستكون مسرورة بك من أجل صديقك ، فتستطيع أن تهدىء من روعها ، وأن تجعلها ، باقناعك إياها ، تمقت الفتى فالانتين وتحب صديقي .

بروتوس : سأفعل قدر استطاعتي ، ولكنك يا سيد توريو لست بارعاً كما يجب . . . فينبغي أن تلقي بشباكك لتصطاد قبولها بك بقصائد ضارعة ، قد أشبعت قوافيها بمواثيق ثابتة على التضحية والوفاء . . .

الدوق : أجل ما أقوى سلطان الشعر النابع من وحي سماوي .

بروتوس : قل إنك على مذبح جمالها تضحي بدموعك ، وقلبك وتنهداتك . . . اكتب إليها حتى يجف مداد قلمك . . . ثم بلله بدمعك مرة أخرى . . . وصغ بعض الأبيات الشعرية العاطفية تكشف لها فيها كيف شفعت المداد بالدمع . . . لأن أوتار قيثارة أرفيوس كانت مشغولة من أعصاب الشعراء ، لذلك كانت لمساته الذهبية تلين الحديد والصخر وتروّض النمور وتجعل الحيتان الضخمة تترك الأعماق التي لم يسبر غورها لترقص فوق الرمال . . . وعليك بعد قصائدك المروّعة الحزينة أن تقف تحت نافذة مخدعها مع فرقة موسيقية مطربة ، ثم وفّق على آلاتهم الموسيقية طائفة من أفكارك المضطربة الحزينة ، ذلك أن سكون الليل الرهيب يناسب مثل هذا الأنين العذب الشاكي . فإن لم يكسبك هذا قلبها فليس من شيء آخر يمكن أن يكسبك إياه .

الدوق : إن هذه الإرشادات تدل على أنك قد وقعت في حب .

تورريو : نصيحتك ، سأنفذها هذه الليلة . . .
ولذلك يا بروتوس اللطيف ، يا مرشدي
ودليلي ، دعنا نذهب إلى المدينة في
الحال لنختار بعض السادة الماهرين في
الموسيقى . . . فإن لدي مقطوعة غزلية
تفي بالغرض ، وتصلح ، بداية ، لتنفيذ
نصيحتك الرشيدة .

الدوق : هيا . . إلى العمل ، أيها السيدان
(يدور على عقبيه لينصرف)

بروتوس : (يتبعه) سنبقى بخدمتك إلى ما بعد
العشاء وبعد ذلك نقرر إجراءات خطتنا .

الدوق : بل اذهبا لتنفيذها منذ الآن . وأنا أعفيكما
من الواجب نحوي .
(يدخل الدوق لتناول العشاء ، ويترك بروتوس
وتوريو القصر)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(طريق يحترق غابة ، ثلاثة من الطريدين ، يحملون أقواساً وسهاماً يراقبون الطريق من فوق أجمة . . . يشاهد فالانتين وسبيد يقتربان)

الطريد الأول : أيها الرفيقان ، اثبتا . . . إنني أرى مسافراً .

الطريد الثاني : وإذا كانوا عشرة فلا تحفل وارمهم أرضاً .

(يخطون إلى الأمام ويسددون إليهم قسيهم)

الطريد الثالث : توقف أيها السيد ، وألق ما معك ، وإذا لم تقف فسنرغمك على الجلوس ونأخذ كل ما معك غصباً .

سبيد : سيدي ، قضي علينا ، هؤلاء هم الأشرار الذين يخافهم المسافرون خوفاً شديداً .

فالانتين : (بهدوء) يا أصحابي .

الطريد الأول : ليس الأمر كما تقول يا سيدي . . . نحن أعداؤك .

الطريد الثاني : الزما الهدوء . . . ولننصت إليه .

الطريد الثالث : أجل . بحق لحيتي سننصت إليه لأنه رجل وسيم الصورة .

فالانتين : إذن فاعلموا أن ما أحمل من المال قليل لا أهتم لفقده وأنا رجل قد أحاطت به المصائب والويلات . . . وأموالي كلها هي هذه الملابس المتواضعة ، فإن صممتم على أن تسلبوني إياها فإنكم تكونون قد حصلتم على كل ما عندي بالتمام والكمال .

الطريد الثاني : وما وجهتك ؟ .

فالانتين : فيرونا .

الطريد الثاني : ومن أين أنت آتٍ .

فالانتين : من ميلانو .

الطريد الثالث : هل أقمت هناك زمناً طويلاً ؟ .

فالانتين : حوالى ستة عشر شهراً وكان من الممكن أن أمكث هناك مدة أطول لو أن الحظ السيء لم يعترض سبيلي .

الطريد الأول : ماذا ، أنفيت من هناك ؟ .

فالانتين : نعم ، نفيت .

الطريد الثاني : ولأي ذنب .

فالانتين : من أجل الذنب الذي يعذبني الآن سرده . قتلت رجلاً ، وأنا على قتله في ندم

شديد ، ولكن مع ذلك أجهزت عليه في القتال في شهامة الرجال دون خداع أو خيانة وضيعة .

الطريد الأول : إذن فلا تندم على فعلك ، إذا كانت قد حدثت كما وصفت . ولكن أنفيت من أجل خطأ صغير كهذا ؟ .

فالانتين : نعم نفيت وما أجدني إلا مسروراً بهذا المصير .

الطريد الأول : أتعرف لغات ؟ .

فالانتين : سفراتي لدراستها وأناصبيّ جعلتني سعيداً ولولاها لحزنت كثيراً .

الطريد الثالث : قسماً بصلعة روبن هود ، بل قسماً بالراهب الفذ ، ينبغي أن يكون هذا الفتى رئيساً لعصابتنا الوحشية المنطلقة .

الطريد الأول : سنؤمره علينا . . . أيها السادة . . كلمة .

(يتحدثون على انفراد)

سبيد : سيدي ، فلتكن واحداً منهم . إن فعلهم هذا نوع شريف من اللصوصية .

فالانتين : اهدأ ، يا وغد .

الطريد الثاني : أخبرنا عن هذا ـ هل عندك ما يشغلك ؟ .

فالانتين : لا شيء غير حظي .

الطريد الثالث : اعلم إذن ، أن بعضاً منا هم من الأشراف الذين طردوا من صحبة الحاكمين ، بدافع ثورة الشباب المتهور . لقد نفيت ، أنا ذاتي من فيرونا ، للشروع في اختطاف سيدة ، كانت وريثة الدوق وابنة عمه .

الطريد الثاني : ونفيت أنا ، كذلك من منتوا ، لأنني في سورة غضبي طعنت سيداً ، طعنة نافذة إلى القلب .

الطريد الأول : وكذلك نفيت أنا أيضاً من أجل جرائم صغيرة كهذه ، ولكن فلنعد إلى الموضوع ـ فقد عدّدنا أخطاءنا وهي تبرير لحياتنا الطريدة هذه ، ولكن لما رأيناك رجلاً يزينه حسن الهندام ، تجيد لغات كثيرة ، كما ذكرت ذلك بنفسك ، ولك نصيب كبير من الكمال الذي نحن بحاجة إليه في ظروفنا الحاضرة .

الطريد الثاني : صحيح ، لأنك ، قبل كل شيء رجل منفي ، فإننا نعرض عليك ، من دون الناس جميعاً . فهل تقبل أن تكون رئيسنا وقائدنا ؟ لتجعل من الضرورة نعمة فتعيش كما نعيش في هذه البرية .

الطريد الثالث : ماذا أنت صانع ؟ أتكون من عصبتنا ؟ قل

نعم وكن قائدنا جميعاً ، ولسوف نقدم لك الولاء والإخلاص ، ونخضع لحكمك ، ونجعل منك قائداً علينا ومليكاً لنا .

الطريد الأول : ولكن إذا أنت احتقرت مجاملتنا ، فلسوف تموت .

الطريد الثاني : لن ندعك تحيا لتتفاخر برفض ما عرضناه عليك .

فالانتين : إني لأقبل عرضكم ، ولسوف أحيا معكم وأعايشكم ، بشرط ألا تتعرضوا بهجومكم للنساء اللواتي لا حول لهن ولا للمسافرين البؤساء الفقراء .

الطريد الثالث : كلا ، فنحن نمقت ، أمثال هذه الأفعال الدنيئة السافلة . تعال ، هيا بنا ، نقدمك إلى عصبتنا ونطلعك على جميع المغانم التي حصلنا عليها ، ونحن نقدمها ، مع أنفسنا ، لتكون طوع أمرك ورهن إشارتك .

(يتوجهون إلى الغابة)

المشهد الثاني

(سور ، له باب سري ، خلف قصر الدوق . . . وفي الداخل جزء من الحديقة ، يفصل السور عن برج مرتفع ، وفي الخارج زقاق ضيق تكتنفه الأشجار . . . ليلة مقمرة)

(بروتوس يفتح الباب الخلفي ويدخل إلى الحديقة)

بروتوس : لقد سبق وأن خنت فالانتين ، والآن ينبغي عليّ وبنفس القوة ، أن أظلِم توريو أيضاً . وتحت ستار مدحه منحتُ الفرصة لكي أجعلها تفضل حبي أنا . ولكن سيلفيا فائقة الحسن والجمال ، عظيمة الإخلاص والوفاء ، وذات نصيب كبير من القداسة بحيث لا تغريها هداياي المتواضعة وإذا أقسمتُ يمين الإخلاص الصادق لها ، فإنها تعيب عليّ خيانتي لصديقي ، وإذا ما تقدمت بعهودي إلى معبد جمالها ، فإنها تلح على أن أفكر كيف حنثت بعهدي مع جوليا التي عشقتُ . وعلى الرغم من ردودها الساحرة المفاجئة . . . التي يفيض النزر القليل منها على أماني العاشق فإن حبي لها مثل

الكلب كلما رفسته عاد يبصبص بذيله
ويضفي عليها من الإعزاز أصنافاً عديدة .
(توريو والموسيقيون يأتون من الطريق)

ولكن ها هو ذا توريو آتٍ ، ويجب الآن
أن نذهب إلى نافذتها ، وأن نرسل ببعض
موسيقى المساء إلى سمعها .

توريو : (يدخل إلى الحديقة) كيف الأمور الآن ، يا سيد بروتوس ، هل تسللت قبلنا ؟ .

بروتوس : أجل ، يا توريو الصديق ، فأنت تعرف أن الحب يتسلل ليخدم حيث لا يتمكن أن يتقدم .

توريو : نعم ، ولكن أرجو يا سيدي ، ألا يكون حبك لمن هنا . . .

بروتوس : ولكن يا سيدي ، أحب من هنا . . . وإلا ما كنت لقيتني هنا .

توريو : تحب من . . . سيلفيا ؟ .

بروتوس : أجل ، سيلفيا ، ومن أجلك . . .

توريو : أشكرك على حبك من أجل ذاتك ، والآن ، أيها السادة فلنأخذ في العزف ، ولتكن موسيقى مثيرة مشبعة بالعاطفة .
(يقف الموسيقيون تحت شرفة البرج ، ويظهر

صاحب فندق عجوز وجوليا متنكرة في زي غلام ، عند أول الزقاق)

صاحب الفندق : والآن ، يا نزيلي الصغير ، أرى أنك كثير الهموم ، أناشدك أن تخبرني لماذا أنت مهموم ؟ .

جوليا : ببساطة يا مضيفي ، لأنني لا أستطيع أن أكون مسروراً .

صاحب الفندق : تعال ، فنسعدك . . . وسأقودك إلى حيث تستمع إلى الموسيقى ، وتشاهد السيد الذي سألت عنه .

(يقتربان من الباب الخلفي)

جوليا : وهل سأسمعه وهو يتحدث ؟ .
صاحب الفندق : نعم . . . سنسمعه .
جوليا : وسيكون هذا موسيقى .

(الموسيقيون يعزفون)

صاحب الفندق : اسمع . . . اسمع . . .
جوليا : هل هو بين هؤلاء . . . ؟ .
صاحب الفندق : نعم . . . ولكن اسمع دعنا نستمع إليهم

(أغنية)

من هي سيلفيا ؟ وماذا تكون
حتى يمدحها

ويطربها جميع المحبين
إنها حلوة ، طاهرة ، حكيمة .
وقد وهبتها السماء هذه الهبات
حتى تثير بها الإعجاب .
أهيَ حنون بقدر ما هي جميلة ؟ .
فالجمال يحيا على الحنان . . .
والحب يتوجه إلى عينيها ،
يطلب منها المساعدة على عماه ،
فإذا حصل على المساعدة ، سكن إلى مقلتيها
فدعنا نترنم لسيلفيا . . .
لأن سيلفيا تسمو
وتعلو على كل كائن زائل
يحيا على ظهر الأديم القاتم
فلنقدم إليها طاقات من الغناء

صاحب الفندق : كيف الحال الآن . هل أنت أكثر غماً مما كنت قبلاً ؟ . كيف أنت يا رجل ؟ ألا تحب الموسيقى ؟ .

جوليا : مخطىء أنت . . . لأن الموسيقيَّ هو الذي لا يحبني .

صاحب الفندق : لماذا ، أيها الشاب الوسيم .

جوليا : إنه يغشُّ في عزفه . . . يا أبتاه .

صاحب الفندق : كيف ؟ أتقصد أنه ينشز في جسّ الأوتار ؟ .

جوليا : كلا ليس الأمر كذلك . . . ولكن عزفه مع هذا غش وخداع حتى إنه ليقطع نياط قلبي .

صاحب الفندق : إن لك أذناً مرهفة .

جوليا : أجل ، تمنيت لو كنت أصم . . . فرهافة سمعي تثقل قلبي .

صاحب الفندق : أراك لا تسرّ بالموسيقى . . .

جوليا : ولا الذرة منها إذا كان وقعها على الأذن نشازاً هكذا .

(تبدأ الموسيقى ثانية)

صاحب الفندق : ما أحلى تحول اللحن هذا في الموسيقى .

جوليا : إن هذا التحول هو سر الضغينة والبلاء .

صاحب الفندق : أتريدهم ألا يعزفوا، إلا لحناً واحداً على الدوام . . .

جوليا : إنني أحب من المرء أن يعزف لحناً واحداً دائماً . . . ولكن ، أيها المضيف ، هل هذا السيد بروتوس الذي نتكلم عنه ، يتردد دائماً على هذه السيدة الشريفة ؟ .

صاحب الفندق : إني أخبرك بما أنبأني به غلامه لونس . . .
إنه يحبها حباً يفوق كل تقدير .

جوليا : وأين هو لونس ؟ .

صاحب الفندق : ذهب يفتش عن كلبه ، الذي سيهديه في
الغد بأمر من مولاه ، هدية إلى سيدته .

جوليا : اسكت ، قف جانباً ، الفرقة الموسيقية
تنصرف .

(يختبئان خلف شجيرة)

بروتوس : (عند الباب الخلفي) يا سيد توريو ، لا
تخف فسوف أواصل التضرع إليها إلى أن
تقول إن تدبيري البارع فاق الحدود .

توريو : وأين نلتقي ؟ .

بروتوس : عند بئر القديس غريغوري .

توريو : الوداع .

(يذهب توريو والموسيقيون من الشارع الضيق)

(تفتح نافذة في البرج وتظهر سيلفيا في الشرفة)

بروتوس : سيدتي . . . مساء الخير لعصمتك . . .

سيلفيا : الشكر لكم على موسيقاكم ، أيها
السادة ، من ذا الذي يتكلم ؟ .

بروتوس : امرؤ لو أنك عرفت ، يا سيدتي ، صدق فؤاده
ونقاوته لسرعان ما تعرفينه من صوته .

سيلفيا : السيد بروتوس . . . كما يخيل إليّ .

بروتوس : إنه السيد بروتوس ، أيتها السيدة الرقيقة ، وخادمك . . .

سيلفيا : وماذا تبغي .

بروتوس : أن أقوم بتحقيق ما تشائين .

سيلفيا : لك ما سألت . . فإن ما أشاء هو هذا . . . أن تباشر ، سريعاً ، بالذهـاب إلى فراشك . . . أيها الرجل المخادع ، الحانث بقسمه ، المخاتل الغادر ، أتعتقد أنني من السذاجة والبلاهة بحيث تغويني بتملقك ، أنت الذي ، خدعت الكثيرين بعهودك ووعودك . . ارجع . . ارجع . . واطلب الغفران ممن أحبتك . أما أنا فإني أقسم بقمر هذا الليل الشاحب أنني بعيدة عن أن أجيبك إلى مرادك بعداً يجعلني أحتقرك على تقرّبك الذي يسيء إلي . بل أجدني سألوم نفسي بعد حين حتى على الأوقات التي أضعتها بالتكلم إليك .

بروتوس : إنني أعترف أيتها الحبيبة الجميلة . إنني أحببت سيدة ، ولكنها توفيت.

جوليا : (جانباً) كذب وهراء . . لو تمكنت أن

أفصح عن ذلك . . فأنا على يقين من أنها
لم تدفن .

سيلفيا : هب أنها ماتت . . . ولكن فالانتين
صديقك ما زال حياً ، وأنت ذاتك شاهد
أنني مخطوبة له ، أفلا تخجل من الإساءة
إليه بإلحاحك علي ؟ .

بروتوس : وقد سمعت أيضاً أن فالانتين قد توفي .

سيلفيا : على ذلك اعلم أنني أنا أيضاً قد توفيت ،
ولتكن أكيداً أن حبي قد دفن معه في
لحده .

بروتوس : أيتها السيدة الجميلة ، دعيني أنشره من
أعماق الأرض .

سيلفيا : اذهب إلى رمس حبيبتك وانشر حبها من
الأرض هناك أو على الأقل ادفن حبك في
لحدها .

جوليا : (جانباً) لم يسمع هذا .

بروتوس : سيدتي . . . إذا كان قلبك قاسياً إلى هذا
الحد . . . فامنحيني رسمك من أجل
حبي ، رسمك المعلق في حجرة
نومك . . . فإلى هذا الرسم سأتوجه

بالحديث ، وقبالته سأتنهد وأبكي . . .
وما دمت قد وهبت نفسك لآخر ،
فامنحيني مجرد طيف ، وإلى طيفك . . .
سأبث صادق الحب . . .

جوليا : (جانباً) إذا وهبتك نفسها فلسوف تغرّها وتجعل منها مجرد طيف مثلي .

سيلفيا : إنني أربأ أن أكون صنمك المعبود ، يا سيدي ، ولكن ما دام يناسب الخداع في طبعك أن تعبد الأطياف وتمجد الرسوم الزائفة ، فأرسل إليّ في الصباح ، وأنا أرسل الرسم إليك . وعلى ذلك أتمنى لك راحة طيبة .

(توصد نافذتها)

بروتوس : كما يمضي المجرمون سواد الليل بانتظار إعدامهم في الصباح .

(يغلق الباب الخلفي ويذهب في الطريق الضيق)

جوليا : أيها المضيف ، ألا نذهب ؟ .

صاحب الفندق : بحق السماء ، كنت مستغرقاً في النوم .

جوليا : أناشدك أين يقطن السيد بروتوس ؟ .

صاحب الفندق : ويحك ، في منزلي . . . صدقني ، أعتقد

أن الصبح كاد ينبلج . .

جوليا : كلا ، ليس الأمر كذلك . . . ولكنها الليلة الأطول التي سهرتها ، والأثقل على نفسي .

(ينصرفان)

المشهد الثالث

(إغلامور يسير في الشارع الضيق ـ يقف عند الباب الخلفي)

إغلامور : هذا هو الوقت الذي رجتني فيه السيدة سيلفيا أن أزورها لكي أعرف منها ما تريد . لا بد أن هناك أمراً عظيماً تطلبني من أجل تحقيقه . . . (ينادي) سيدتي . . سيدتي . .

(تفتح النافذة وتظهر سيلفيا مرة أخرى)

سيلفيا : من هذا الذي ينادي ؟ .

إغلامور : خادمك ، وصديقك ، شخص ينتظر أمر عصمتك .

سيلفيا : يا سيد إغلامور ، أُسعدت صباحاً ألف مرة .

إغلامور : ولك مثلها أيتها السيدة المحترمة . . وها أنا ذا أحضر مبكراً ، تنفيذاً لأمر عصمتك ، لأعرف ما هي المهمة التي تودين أن تأمريني بها ؟ .

سيلفيا : يا إغلامور ، إنك سيد كريم ـ ولا تعتقد أنني أمتدحك وأطريك ، فإنني أقسم أنني

لا أقول غير الحقيقة . . فأنت باسل
حصيف ، حي الضمير ، كامل
التهذيب ، وأنت لا تجهل ما أشعر به نحو
فالانتين ، المنفي ، من مشاعر عزيزة
صادقة . . . وأنت لا تجهل أيضاً كيف أن
والدي يريد أن يرغمني على القران بتوريو
المغرور بنفسه ، الذي أكرهه من أعماق
نفسي . ولقد عانيت لواعج الحب
وسمعتك تقول ، إن حزناً لم ينفذ إلى
شغاف قلبك ، كالحزن الذي أحسست به
عندما ماتت حبيبتك المخلصة ، التي
تعهدت عند لحدها أن تتبتل يا سيد
إغلامور . . . إنني أريد أن أذهب إلى
فالانتين ، في منتوا ، فقد سمعت أنه يقيم
فيها ، ولما كانت الدروب تكتنفها
مخاطر ، فإنني لأرغب في رفقتك
الجليلة ، وسأطمئن إلى إيمانك
وشرفك . . . ولا تخف من غضب
والدي ، يا إغلامور ، وإنما فكر في شقائي
ولوعتي . . لوعة سيدة ، وفكر في عدالة
هروبي من هنا ، إنقاذاً لشخصي من زواج
غير متكافىء إلى أبعد الحدود ، زواج
تلعنه السماء والأقدار ، فتجزيه بكوارثها .
وإني لأسألك ، بقلب مفعم بالأحزان ،

كما هي مفعمة بالرمال البحار ، أن تكون بصحبتي وأن ترافقني في سفري فإذا لم تلب الطلب فاحتفظ بما أخبرتك به سراً مكنوناً حتى أستطيع أن أخاطر بالرحيل منفردة .

إغلامور : يا سيدتي إنني أشفق كثيراً على أحزانك وما دمت أعرف أنها تقوم على دعامة من الفضيلة فإني أوافق على أن أصطحبك ، ولن أحفل كثيراً بما يصيبني ، ولكني أرجو أن يكون الخير كله من نصيبك . . . متى تغادرين ؟ .

سيلفيا : هذا المساء القادم .

إغلامور : وأين ألقاك ؟ .

سيلفيا : في دير القس الأخ باتريك ، حيث أعتزم أن أقوم بالاعتراف المقدس .

إغلامور : لن أخذل عصمتك : صباح سعيد . يا سيدتي المحترمة .

(يعود أدراجه إلى الزقاق)

سيلفيا : أسعدت صباحاً ، أيها السيد الرقيق إغلامور .

(توصد نافذتها)

(تمر ست ساعات أو سبع)

المشهد الرابع

(لونس وكلبه في أثره يتبعه ، يتقدم من الباب الخلفي ، ويلقي بنفسه تحت شجيرة ، وهو يزمجر)

لونس : (إلى الكلب) . . عندما يقوم الخادم لسيده بدور الكلب الحقير فإن ذلك ، لو تأملت ، ينذر بالشر . فهذا أنت كلب قد ربيته ، منذ أن كان جرواً صغيراً ، كلبٌ أنقذته من الغرق ، عندما مات من إخوته وأخواته ثلاثة أو أربعة صغار غرقوا ولما تتفتح عيونهم بعد . ولقد دربته. لقد أرسلني مولاي ، لكي أقدمه هدية إلى السيدة سيلفيا . وما كدت أدخل حجرة الطعام ، حتى سبقني إلى صحونها وصحافها ، فسرق فخذ الديك المقدم لها . . . إنه لفعل وضيع ، من كلب لا يحتفظ برصانته في جميع المحافل . ليته كان ، كما يحق لي أن أقول ، كلباً أصيلاً ليصبح عالماً وخبيراً بجميع الأشياء . . . ولو لم يكن لي نصيب من العقل أكثر مما له ، مما جعلني

الحمل نتيجة الخطأ الذي اقترف ، لكان الشنق ، بلا ريب فيما أرى جزاء فعلته ، وأنا متيقن يقيني من أنني على قيد الحياة ، أنه يستحق أسوأ العذاب ، والحكم عائد إليكم . . . فلقد زج بنفسه في صحبة ثلاثة كلاب أو أربعة لَطيفة كانت ترقد تحت مائدة الدوق فلم يكد يمر من الوقت إلا بعضه مما يسمح بالتبوّل حتى كانت الرائحة قد زكمت أنوف كل من الموجودين بالقاعة . . . قال أحدهم : اطردوا الكلب . . . وقال غيره : أي كلب هذا . . . وقال الثالث : أخرجوه بالسوط . . . وقال الدوق : اشنقوه . . . أما أنا ، وقد عرفت هذه الرائحة من قبل ، فقد أدركت أنه « كراب » ، فتقدمت من الرجل المكلف بضرب الكلاب بالسوط وقلت له : أيها الرفيق هل تنوي فعلاً أن تضرب الكلب بالسوط ؟ .

قال . . . نعم . . حقاً سأفعل . قلت : إنك تسيء إليها إساءة أفدح لأني أنا الذي اقترفت الأمر الذي تعلمه فلم يتمادَ في جدالي بل أخرجني من القاعة ضرباً بالسوط . . . فكم من سيد يقوم بذلك من أجل خادمه ؟ . كلا وإني أحلف أنني

ربطت من أجل سقط لحم حيوان سلبه ، ولولا ذلك لقتل ، لقد عرضت نفسي للسخط والسخرية من أجل ما اقترف هو من جرم ، ولولا ذلك لدفع الثمن غالياً . إنك لا تفكر في ذلك الآن . . . كلا وإنني لأذكر الخداع الذي خدعته عندما طلبت الإذن من السيدة سيلفيا ، ألم آمرك أن تراقبني وأن تقلّدني فيما أعمل ؟ فمتى شاهدتني أرفع رجلي وأتبول على ثياب سيدة رقيقة ؟ هل أبصرتني مرة أقوم بمثل هذه اللعبة ؟ .

(بروتوس وجوليا متنكرة في زي غلام يمران)

بروتوس : سباستيان هو اسمك : إنني أحببتك كثيراً ، وسأستخدمك في بعض المهمات في الحال .

جوليا : في أية مهمة ترضيك ، وسأبذل فيها كل مقدرتي .

بروتوس : أرجو أن تتمكن . . . (يلمح لونس) كيف الحال الآن ، يا فلاح يا ابن الفاعلة . أين كنت تتصعلك في هذين اليومين ؟ .

لونس : صدقني يا سيدي ، لقد حملت الكلب

إلى السيدة سيلفيا ، كما أمرتني .

بروتوس : وماذا قالت عن درّتي الصغيرة ؟ .

لونس : والله ، لقد قالت إن كلبك وضيع ، وتقول لك إن الشكر الوضيع هو كل ما يناسب هذه الهدية من شكر .

بروتوس : ولكن قبلت مني كلبي ؟ .

لونس : كلا ، بالطبع ، لم تقبله ، وها قد ردّته معي إليك .

بروتوس : ماذا؟ هل قدمت هذا الكلب إليها، على أنه هدية مني .

لونس : نعم يا سيدي ، فإن الآخر السنجابي ، سلبه مني ، في السوق ، الأولاد الأشقياء الذين يستحقون الشنق ، ولأجل ذلك قدمت إليها كلبي ، الذي هو أضخم من كلبك عشر مرات ، ولذلك هو هدية أكبر .

بروتوس : أغرب ، اذهب من هنا ، وفتش عن كلبي حتى تجده . وإلا فلا ترني وجهك ثانية ، اذهب ، قلت لك . هل ستبقى حيث أنت لتثيرني ؟ يا له من عبد ما يزال يفضحني .

(ينصرف لونس يتبعه كراب)

سباستيان ، إنني أنزلك منزلة التكريم .

وذلك لأنني ، من جهة ، بحاجة إلى شاب مثلك يستطيع ، بشيء من الفطنة والذكاء أن يقوم بأعمالي لأنني لا أثق بذلك الأحمق البليد الجلف ، ومن جهة أخرى ، وأهم ، أكرمتك من أجل مظهرك وخلقك اللذين إذا لم تخدعني فراستي ينمان عن كرم المحتد والجاه ، والوفاء . ولتعلم إذن أنني من أجل ذلك أكلفك بهذا الأمر ، وهو أن تذهب في التو ولتأخذ معك هذا الخاتم ، وتعطيه للسيدة سيلفيا . . . فلقد أعطتني إياه سيدة كلفت بي حباً .

جوليا : يبدو أنك ما أحببتها ، وما أحببت ذكراها (تأخذ الخاتم) لعلها ماتت ؟ .

بروتوس : كلا . . . أظنها ما زالت على قيد الحياة .

جوليا : يا للأسف . . .

بروتوس : لماذا تعلن الأسف؟ .

جوليا : ليس لي إلا أن أرثي لها .

بروتوس : ولماذا ترثي لها ؟ .

جوليا : لأنني أظن أنها أحبتك ، كما تحب أنت السيدة سيلفيا . . . إنها تحلم بمن سلا ودادها ، وأنت تهيم بالتي لا تكترث لحبك . من المؤسف أن يكون الحب

متناقضاً هكذا وتفكيري، في كل هذا ،
يجعلني أنوح « واحسرتاه » .

بروتوس : ليكن ذلك ، أعطها هذا الخاتم ، وسلمها
بنفس الوقت هذه الرسالة . (يشير) ذلك
مخدعها . . قل لسيدتي إنني أطالبها
بإنجاز وعدها برسمها السماوي . فإذا
انتهيت من مهمتك، فأسرع إلى حجرتي ،
حيث تلقاني وحيداً كئيباً .

(ينصرف)

جوليا : كم امرأة تستطيع القيام بمثل هذه
المهمة ، واأسفاه لك يا بروتوس
المسكين ، لقد سألت ثعلباً أن يكون
راعياً لخرافك ، وواحسرتاه عليّ أنا
الحمقاء المسكينة لماذا أشفق عليه ، وهو
الذي يحتقرني من أعماق قلبه ؟ إنه
يحتقرني لأنه يهواها ، وعليّ أنا أن أشفق
عليه ، لأنني أهواه . . . وهذا الخاتم هو
الذي أعطيته إياه عندما افترق عني ليرتبط
بذكرى حبي الصادق . والآن هل كتب
علي ، أنا الرسول التعس ، أن أتوسل
إليها وأرجوها لترضى ما لا أستطيع أنا أن
أحوز عليه ، وأن أسلمها هذا الذي ما
كنت لأرضى برده إليّ وأن أمتدح وفاءه

وإخلاصه ، الذي كان يجب علي أن أذمه . إنني حبيبة مولاي ، الراسخة على عهده ، ولكني لا أستطيع أن أكون خادماً صادقاً لمولاي . إلا إذا أثبت أنني خائنة مخادعة لذاتي ومع ذلك فسوف أتودد إليها من أجله ، ولكن بفتور ، والله يعلم أنني لا أرجو له التوفيق . . .

(تأتي سيلفيا من الباب الخلفي)

أيتها السيدة الرقيقة صباح الخير . أسألك أن تكوني مرشدتي إلى المكان الذي أتكلم فيه إلى السيدة سيلفيا .

سيلفيا : وماذا تبغي منها ، إذا كنت أنا هي ؟ .

جوليا : إذا كنت أنت هي ، فأنا أطلب منك الصبر لتسمعي مني الرسالة التي أرسلتُ بها .

سيلفيا : ممن ؟ .

جوليا : من سيدي ، السيد بروتوس ، يا مولاتي .

سيلفيا : أأرسلك في طلب الرسم ؟ .

جوليا : نعم ، يا سيدتي .

سيلفيا : (تنادي) « أورسولا » هات رسمي من هناك .

(تحضر الخادم الصورة)

اذهب وأعط سيدك هذه وانقل إليه ما أقول ، إن واحدة تسمّى جوليا قد تناساها

فكره المتقلب هي أحقُّ بحجرته من هذا الطيف .

جوليا : سيدتي ، اقرئي هـذا الخطاب من فضلك . . لا تؤاخذيني يا سيدتي ، فقد ناولتك ، بلا انتباه ، ورقة أخرى .

(تسترجعها بسرعة وتقدم غيرها)

هذا هو الخطاب الموجه إلى عصمتك .

سيلفيا : أرجوك دعني أقرأ تلك الورقة مرة أخرى .

جوليا : لا يمكن أيتها السيدة المحترمة ، أرجو ألا تؤاخذيني .

سيلفيا : إذن . . . خذ . . .

(تمزق الخطاب من أوله لآخره)

لن أنظر إلى عبارات مولاك فإني أعرف إنها محشوة بالعهود ، عامرة بمواثيق مجددة سيمزقها بنفس السهولة التي مزقت أنا بها خطابه .

جوليا : يا سيدتي ، إنه يهدي هذا الخاتم إلى عصمتك .

سيلفيا : لمما يضاعف عاره أن يرسله إلي ، لأنني قد سمعته يقول ، ألف مرة ، إن جوليا أعطته إياه عند رحيله ، ومع أن بنانه الخائنة قد انتهكت حرمة الخاتم فإن بناني

أنا لن تسيء إلى جوليا إساءة كهذه .

جوليا : إنها لتشكرك . .

سيلفيا : ماذا تقول . .

جوليا : أشكرك يا سيدتي ، لأنك ترعينها ، يا للسيدة المرهفة البائسة ! إن مولاي يسيء إليها كثيراً .

سيلفيا : أتعلم من هي ؟ .

جوليا : أكاد أعرفها كما أعرف ذاتي . وأؤكد لك انني بكيت مئات المرات ، كلما فكرت في أحزانها .

سيلفيا : أكبر الظن أنها تعتقد أن بروتوس قد هجرها .

جوليا : أظن أنها تعتقد ذلك : وهذا مبعث حزنها .

سيلفيا : أو ليست جميلة جداً ؟ .

جوليا : كانت أجمل يا سيدتي مما هي الآن . كانت في نظري مثلك جمالاً ، عندما كانت تعتقد أن مولاي يحبها حباً صادقاً ، ولكن منذ أهملت النظر في مرآتها وتخلّت عن نقابها الذي كان يحمي وجهها من حر الشمس، أذبلت الرياح ورد وجنتيها، واعتصر بياض الزنبق من محياها حتى

غدت الآن سمراء مثلي .

سيلفيا : وكم هو طولها ؟ .

جوليا : تكاد تكون في مثل قدّي تماماً . ففي عيد الحصاد عندما كانت تمثل مهرجانات مسراتنا ، جعلني الشباب أقوم بدور المرأة ، فقمت بارتداء ملابس السيدة جوليا ، فحكم الرجال جميعهم بأنها تناسبني تماماً ، وكأن الرداء قد فصل على قوامي . وهكذا أدركت أنها تكاد تكون في مثل طولي . ولقد جعلتها ، في ذاك اليوم ، تبكي كثيراً لأنني قمت بتمثيل دور حزين هو دور « أرديان المحزونة » من أجل حنث ثيسيوس بعهده وفراره ظلماً ، فمثلت الدور وأسبغت عليه الحياة وأنا أمثله بعبراتي . . . حتى ان سيدتي المسكينة تأثرت وأجهشت بالبكاء في الوقت نفسه ألا ، وليأخذني الموت إذا لم أشعر ، وأنا أفكر فيها بحزنها وكأنه حزني أنا .

سيلفيا : إنها ترعى لك صنيعك ، أيها الشاب الرقيق ، واحسرتاه على السيدة البائسة ، وحيدة مهجورة . فأنا نفسي أبكي كلما فكرت في كلماتك . . . والآن أيها

الشاب ، هاك كيساً من المال ، أمنحك
إياه من أجل سيدتك الجميلة ، لأنك
تحبها ، الوداع .

جوليا : وسوف تشكرك هي على ذلك ، إذا قدر
لك أن تعرفيها . (تنصرف سيلفيا) سيدة
شريفة محترمة ، وديعة جميلة . . . أرجو
أن يخبو تودد سيدي لها ما دامت تجلّ
حب سيدتي إلى هذا الحد الكبير . . .
واحسرتاه كم يلهو الحب بنفسه . . . ها
هو ذا رسمها . . . (تجلس) ولأتأمل
الأمر . . . أظن أنه إذا كانت لي مثل هذه
القبعة ، لبدا وجهي رائع الجمال
كوجهها ، بلا أي فرق . ومع ذلك فإن
الرسام جعلها أزهى قليلاً مما هي عليه ،
إلا إذا كنت أنا أزهى بنفسي كثيراً ،
وشعرها ذو لون بني ، أما شعري فأصفر
خالص ، إذا كان هذا ، بنظر حبه ،
اختلافاً خطيراً فسأحصل على شعر
مستعار ، باللون نفسه : وعيناها رماديتان
كالبللور ، وكذلك عيناي . أجل ، ولكن
جبهتها ضيقة بينما جبهتي عالية . ترى ما
الذي فيها يشدّ اهتمامه ولا أستطيع مثله
لنفسي ؟ . آه لو لم يكن الحب الشغوف

إلهاً ضريراً ! (تنهض) تعال . . . أيها الطيف تعال ، وخذ هذا الطيف الآخر برفقتك ، لأنه غريمك يا أيها الشكل الذي لا شعور له ، سوف تعبد وتقبل وتحب وتعشق ولو كان عنده تعقّل في وثنيته لكان يجب أن تكون مادتي ، أنا الحية ، هي الصنم الذي يعبد مكانك . . . سأعاملك برفق من أجل سيدتك ، لأنها ، هي ذاتها ، قد عاملتني بذلك ، وإلا قسماً بكبير الآلهة لسملت عينيك غير المبصرتين ، لأجعلن سيدي ينصرف عنك .

(تنصرف حاملة الصورة)

الفصل الخامس

المشهد الأول

(دير قرب ميلانو في المساء)

(إغلامور في عباءة وفي قدمه مهماز ، ينتظر سيلفيا)

إغلامور : بدأت الشمس تزين الجانب الغربي من السماء بلونها الذهبي وقد حانت الساعة المعينة التي كان على سيلفيا أن تلقاني فيها عند دير القس باتريك . لن تتخلف عن الميعاد لأن العاشقين لا يخلفون مواعيدهم إلا بأن يأتوا قبل وقت الميعاد من فرط ما يستعجلون سفرتهم (سيلفيا تقترب مسرعة) انظر ، ها هي ذي تقدم . أيتها السيدة ، مساء سعيداً . .

سيلفيا : آمين ، آمين ، فلنواصل السير ، يا إغلامور الطيب . هلم - متى نصل إلى الباب الخلفي بالقرب من سور الدير ؟ لأني أخاف أن يكون بعض الجواسيس في أثري .

إغلامور : لا تخافي إن الغابة هي على بعد أقل من ثلاثة فراسخ منا ، فإذا ما قطعناها أصبحنا في مأمن .

(يغادران الدير)

المشهد الثاني

(ميلانو : حجرة في قصر الدوق)

(توريو وبروتوس ، وجوليا « متنكرة في شخص سباستيان » تقوم على خدمته)

توريو : يا سيد بروتوس . . . ماذا قالت سيلفيا عن عرضي للزواج منها ؟ .

بروتوس : وجدتها ، يا سيدي ، أرق مما كانت من قبل ومع ذلك فهي ترى عيوباً في شخصك .

توريو : ماذا ؟ هل ترى ساقي طويلة جداً ؟ .

بروتوس : كلا . بل إنما تراها قصيرة جداً . . .

توريو : سأنتعل حذاءً طويلاً لأجعل منها أقرب إلى الاستدارة فلا تعود تشكو طولاً ولا قصراً .

جوليا : (جانباً) إن الحب لا يرغب فيما يمقت ويكره .

توريو : وماذا قالت عن وجهي ؟ .

بروتوس : قالت إنه وجه وسيم وضّاء .

توريو : كلا ، إن العابثة لا تكذب ، فوجهي قاتم .

بروتوس : ولكن اللآلىء برّاقة والمثل القديم يقول

إن الرجال السود لآلىء في أعين الحسناوات .

جوليا : (جانباً) هذا صحيح ، فإن مثل هذه الجواهر تخطف أبصار السيدات ، فتذهب بها ، وإنني لأفضل أن أكف بصري عن النظر إليها .

توريو : وكيف تقدر حديثي ؟ .

بروتوس : سيء التقدير ، عندما تتكلم عن الحرب .

توريو : ولكن ، عندما أتكلم عن الحب والسلام والأمن .

جوليا : (جانباً) إنها تقدرك تقديراً أحسن حين تلتزم السكوت .

توريو : وماذا تقول عن بسالتي ؟ .

بروتوس : يا سيدي ، ليس لديها أدنى ريبة في هذا الأمر .

جوليا : (جانباً) ليست بحاجة للريبة ما دامت تعلم علم اليقين أنها الجبن بعينه .

توريو : وماذا تقول عن حسبي ؟ .

بروتوس : إنك انحدرت من نسب شريف .

جوليا : (جانباً) حقاً كان الانحدار من سيد شريف إلى أبله .

توريو : أتقدر ما أمتلك ؟ .

بروتوس : أجل ، وتشفق عليك مما يسيطر عليك .

توريو : ولماذا ؟ .

جوليا : (جانباً) لأن مثل هذا الحمار يملكها .

بروتوس : لأن ما يسيطر عليك فوق كل تملك .

جوليا : ها هو الدوق آتٍ .

(يدخل الدوق مسرعاً)

الدوق : كيف أنت الآن ، يا سيد بروتوس . . . كيف حالك ، يا توريو . . . من منكما شاهد السيد إغلامور ، لآخر مرة ؟ .

توريو : لم أشاهده .

بروتوس : ولا أنا .

الدوق : وهل شاهدتما ابنتي ؟ .

بروتوس : ولا هي .

الدوق : إذن لقد هربت إلى ذلك الجلف فالانتين ، وإغلامور برفقتها . هذا صحيح . . . لأن القس الأخ لونس قابلهما هما الاثنين ، وهو يقوم بكفّارة ، متجولاً في الغابة ، ولقد تيقّن من شخص إغلامور ، ورجح أنها هي ، ولكنه لم يتيقّن من شخصها ، لأنها كانت تلبس قناعاً ، أضف إلى ذلك أنها كانت قد نوت الاعتراف في دير القس باتريك ، هذا المساء ، ولكنها لم توجد هناك ، فكل

هذه الملابسات تؤكد هربهما من هنا .
لذلك أناشدكما ألا تضيعا الوقت في
الكلام ، وامتطيا حصانيكما على الفور
وقابلاني عند التلة التي في سفح الجبل
المؤدي إلى منتوا ، حيث قد هربا ،
أسرعا أيها السيدان الطيبان . . .
والحقاني .

(يسرع خارجاً)

توريو : يا لها من فتاة طائشة تهرب من حظها
السعيد ، وهو يتبعها . سألحق بها .
يحثني الثأر من إغلامور أكثر مما يحثني
حب سيلفيا النزقة .

(يتبع الدوق)

بروتوس : أما أنا فسألحق بهما حباً في سيلفيا لا
بغضاً لإغلامور ، الذي يرافقها .

(يتبع توريو)

جوليا : أما أنا فسألحق بهم لإفساد ذلك الحب لا
مقتاً لسيلفيا التي هربت في سبيل الحب .

(تتبع بروتوس)

المشهد الثالث

(سيلفيا بين أيدي الطريدين)

الطريد الأول : اصبري ، اصبري ، وكوني جلودة :
يجب أن نسير بك إلى قائدنا .

سيلفيا : علمتني مصائب أخطر من هذه ألف مرة
كيف أتجمل لهذه المصيبة بالصبر .

الطريد الثاني : تعالي ! سر بها بعيداً .

الطريد الأول : أين السيد الذي كان معها ؟ .

الطريد الثالث : لم نتمكن من اللحاق به ، لأنه سريع
الجري ولكن موسى وفاليروس لحقاه .
اذهب معها إلى الطرف الغربي للغابة
فهناك قائدنا وسنلحق نحن بالذي هرب
فالغابة محاصرة فمن ذا الذي يستطيع
الفرار .

الطريد الأول : تعالي ، يجب أن آخذك إلى مغارة
قائدنا . . . لا تخافي ، إن له عقلاً خليقاً
بالإكبار ولن يسيء معاملة امرأة.

سيلفيا : أشهد يا فالانتين . . أنني من أجلك
أحتمل كل هذا.

المشهد الرابع

(يدخلان الغابة : فالانتين يسير نحوهم ببطء على الطريق)

فالانتين : يا للعجب ! كيف تتولد العادةُ في الإنسان من ممارسة عمل من الأعمال . لقد صرت أحتمل هذه البيداء الكـالحة والغابات المهجورة وأراها خيراً من المدن المزدهرة المأهولة : هنا أقدر أن أنفرد بنفسي لا يراني أحد ، ألَحِّن أحزاني وأشدو وأتغنى بأشجاني على ألحان العندليب المطربة . يا أيها القاطن في فؤادي لا تترك الدار خالية على هذا النحو أمداً طويلاً حتى لا يشيع فيها اليباب وينهار بنيانها ولا تترك أثراً يدل عليها . . . أصلحي من حياتي الخربة بلقائك يا سيلفيا . أيتها الحورية الرقيقة ، أسعدي حبيبك البائس .

(يستغرق في تأملاته ، تسمع صيحات ودقات طبول)

ما هذا الصياح ، وتلك الجلبة اليوم ؟ . إنهم أصدقائي الذين يعطون لمشيئاتهم

سلطان القانون ، قد اصطادوا مسافراً شقياً ، إنهم يحبونني كثيراً ، ومع ذلك فـيـنـبـغـي أن أعمل الكثير ، لكي أكبح اندفاعهم الوحشي . تنح يا فالانتين ، من ذا الذي يأتي إلى هنا ؟ .

(يتنحى . تقبل سيلفيا مشعثة من صوب الغابة ، يليها بروتوس وجوليا « متنكرة في شخص سباستيان »)

بروتوس : مولاتي ، إن هذا الصنيع قمت به من أجلك ، وإن كنت لا تقدّرين شيئاً يعمله خادمك ، فلقد عرضت حياتي للمخاطر ، لأنقذك ممن كاد يغتصب شرفك وحبك فكافئيني على عملي ، نظرة جميلة واحدة وأنا لا أستطيع أن ألتمس منك هبة أقل من هذه ، وأنا على يقين من أنك لا تستطيعين أن تمنحي أقل منها .

فالانتين : (جانباً) ما أشبه هذا بالرؤيا إنني أرى . . . وأسمع . أيها الحب ، امنحني الصبر لكي أحتمل برهة .

سيلفيا : ويلي من بائسة شقية .

بروتوس : كنت شقية قبل أن أحضر يا مولاتي ، ولكني بحضوري قد جعلتك سعيدة .

سيلفيا : إن مقدمك جعلني أشقى الشقاء الذي ليس بعده شقاء .

جوليا : (جانباً) وأنا أكون كذلك عندما يدنو من حضرتك .

سيلفيا : لو أني وقعت فريسة لسبع جائع لفضّلْتُ أن يتخذني الوحش طعاماً لفطوره على أن ينقذني بروتوس المخادع . أيتها السماء احكمي ، كم ذا أحب فالانتين . إن حياته عزيزة علي كنفسي . وبقدر ما أعزه إعزازاً ليس عليه من مزيد بقدر ما أمقت بروتوس المخادع الناكث بعهده . . . اغرب ولا تظهر لي مرة أخرى . . .

بروتوس : وأي عمل خطير من الأعمال ولو كان يقرب من الموت لا أقوم به ، من أجل نظرة واحدة منك . إنها اللعنة في الحب التي لا يزال الواقع يؤيدها . . . أن ترغب النساء عن حب الذين يتدلهون فيهن .

سيلفيا : بل عندما يرغب بروتوس عن حب التي تتدله في حبه . أعد تلاوة قلب جوليا ، أول حب لك وأفضله . حسبك الذي نثرته فأحلته إلى ألف قسم من أجلها ، ثم هبطت بهذه الأيام الألف إلى درك النكث بالعهود . . . لم يعد لك عهد ولا قسم تتوجه بهما إليّ لتحبني اللهم إلا إذا كان لك قلبان . وهذا أسوأ جداً من لا شيء .

فمن الخير لك ان تكون اصلا بلا قلب من أن يكون لك أكثر من قلب واحد ، لأن القلب الواحد كثير جداً بوحدته يا أيها الخائن لصديقه الصدوق .

بروتوس : من الذي يحترم الصداقة في قانون الحب ؟ .

سيلفيا : الجميع إلا بروتوس .

بروتوس : كلا ، إذا لم تتمكن رقة الروح ، في الألفاظ المؤثرة ، أن تحولك إلى موقف أسلس ، فسوف أخطبك ، كما يفعل الجندي بنصل الحسام ، بل أحبك ضد طبيعة الحب ذاته . . . آخذك غصباً .

سيلفيا : يا للسماء .

بروتوس : (يمسكها) سأجبرك على التسليم لإرادتي .

فالانتين : (يثب إليه) أيها النذل ارفع هذه اليد القاسية الجلفة ، أيها الصديق الذي لا يعرف معنى الصداقة .

بروتوس : (متراجعاً) فالانتين ! .

فالانتين : أيها الصديق السافل الوضيع الذي ليس له عقيدة ولا حب عنده ، هكذا أصدقاء اليوم أيها الرجل الخائن . لقد خيبت آمالي ،

ولولا أني أبصرت بعيني ما صدقت .
لست أجرؤ الآن على الادعاء بأن لي صديقاً على قيد الحياة ، فوجودك تكذيب لهذا الادعاء. إذ من ذا الذي يوثق به. إذا كانت عينا المرء تحنثان بعهدهما لقلبه ؟
يا بروتوس، يؤسفني أنني لن أتمكن من أن أثق بك بعد الآن، بل إنني لأرى الكون كله غريباً عني من أجلك. إن الجرح الذي يصيب شخصي هو أعمق الجراح. وإن ألعن الأزمان هو الزمن الذي يجد فيه الإنسان أن الصديق هو شر الأعداء جميعاً . .

بروتوس : إني لمضـطرب من خجلي وإثمي فسامحني يا فالانتين ، وإذا كان الحزن النابع من القلب فداء كافياً لما اقترفت من خطأ في حقك ، فإنني أقدمه هنا ، وإنني لصادق في ألمي بالقدر الذي يمكن أن أكون فيه صادقاً أبداً .

فالانتين : هذا حسبي إذن ، وهأنذا أتلقاك مرة أخرى كما أتلقى الرجل الصادق الأمين ، والذي لا يكتفي بالندم لا يكون من أهل السماء ولا من أهل الأرض ، لأن أولئك وهؤلاء يرضيهم الندم ؛ بل إن التوبة لتخفف من

غضب الله نفسه . ولكي يظهر لك حبي
حراً جلياً ، فإنني أمنحك كل حق كان لي
في سيلفيا .

جوليا : يا لي من تعسة شقية . (يغمى عليها) .

بروتوس : انظر الغلام .

فالانتين : ويحك يا غلام ماذا بك . . . ماذا حدث ؟
ارفع رأسك . . . تكلم . . .

جوليا : إن مولاي ، يا سيدي ، قد أمرني بأن
أسلم خاتماً للسيدة سيلفيا ، ولقد قصرت
في تنفيذ هذا الأمر لمجرد إهمالي .

بروتوس : أين هو هذا الخاتم يا غلام .

جوليا : هذا هو .

بروتوس : كيف . . . ما هذا (يتناول الخاتم) إن
هذا هو الخاتم الذي أعطيته لجوليا .

جوليا : أسألك الرحمة يا مولاي ، لقد أخطأت .
هذا هو الخاتم الذي بعثت به أنت إلى
سيلفيا .

(تقدم خاتماً آخر)

بروتوس : ولكن كيف حصلت على هذا الخاتم؟ لقد
قدمت هذا الخاتم إلى جوليا عند
سفري .

جوليا : وجوليا ذاتها هي التي أعطتني إياه. وجوليا ذاتها هي التي أحضرته إلى هنا .

بروتوس : كيف جوليا ؟ .

جوليا : انظر إلى التي كانت ركيزة ومحور أيمانك جميعها وحافظت عليها في شغاف جنانها . وكم اقتلعت جذورها بالحنث يا بروتوس . ألا فلتخجل من هذا اللباس الذي تشاهدني فيه ؟ . يجب أن تستحي إذا كان الحياء لم يمت بعد لأنني ارتديت هذه الملابس التي لا تليق بي متنكرة في سبيل الحب . وإنها لهفوة أصغر في قانون الأدب ، أن تتحول النساء إلى رجال في زيهن من أن يبدل الرجال عقولهم .

بروتوس : من أن يبدل الرجال عقولهم ؟ هذا صحيح . . . يا للسماء إن الإنسان ليصبح كاملاً ، إذا ثبت على عهده ، وغلطة صغيرة واحدة تغمره بالأخطاء وتدفعه لاقتراف كل خطيئة ، بل إن الحنث بالعهد ليغري بالآثام قبل أن نباشر به .ماذا في وجه سيلفيا ليس ما هو أنضر منه في محيا جوليا لو أني نظرت إليه بوفاء وإخلاص .

فالانتين : تعال ، تعال . . . فليبسط كل منكما كفه

(يعقد كفيهما) دعني أتبرك بأن أحقق هذه النهاية السعيدة ، فمن المؤسف أن يظل صديقان مثلكما عدوين زمناً طويلاً .

بروتوس : أيتها السماء اشهدي لقد حققتُ أمنيتي إلى الأبد .

جوليا : وكذلك أمنيتي أنا أيضاً .

(يظهر الطريدون ، يجرون الدوق وتوريو)

الطريد : غنيمة . . . غنيمة . . . غنيمة . . .

فالانتين : لقد أمرتكم أن تكفوا . . . إنه مولاي الدوق . . . يرحب بسموك رجل مغضوب عليه هو الطريد فالانتين . . .

الدوق : السيد فالانتين . . .

توريو : هذه هي سيلفيا هناك . . وسيلفيا لي .

(يتجه نحوها)

فالانتين : قف مكانك ، يا توريو ، وإلا فواجه الموت . . . ولا تدنُ من ثورة غضبي . . . ولا تقل إن سيلفيا لك . . . وإذا قلتها مرة أخرى فإن فيرونا لن تراك على قيد الحياة . وها هي ذي تقف هنا ، حاول أن تأخذها أو تلمسها . إني أتحداك أن تلامس أنفاسك حبيبتي .

توريو : يا سيد فالانتين ، إنني لا أهتم بها ، وإنه لرجل أحمق ذلك الذي يعرض حياته للموت من أجل فتاة لا توده وأنا لا أطالب بها لنفسي ، ولذلك فهي لك .

الدوق : ما أشد سفالتك ونذالتك . لتصطنع معها هذه الوسائل ، ثم تدعها لمثل هذه الملابسات البسيطة (يشيح بوجهه عنه) والآن قسماً بمجد أجدادي، إنني أطري روحك العالية يا فالانتين، وأراك جديراً بحب إمبراطورة ولتعلم إذن أنني الان أنسى كل ما مضى ، وأمحو كل ضغينة كما ألغي أمر نفيك وأعيدك إلى الوطن وأقرر الحقيقة الجديدة التي استخلصتها بشأن فضائلك ومزاياك التي لا تضاهى بقولي : « يا سيد فالانتين أنت رجل شريف ، من أصل كريم ، خذ سيلفيا التي تحب لأنك تستحقها » .

فالانتين : إنني أشكر سموك ، ففضلك أبهجني ، وأنا الآن أرجوك من أجل ابنتك أن توليني معروفاً واحداً أطلبه منك .

الدوق : مهما يكن سأوليك إياه من أجلك أنت .

فالانتين : هؤلاء المنفيون ، الذين حافظت عليهم ، رجال يتصفون بمزايا عالية . . . يا مولاي

الجليل ! اصفح عما اقترفوه هنا ودَعْهم يرجعوا من منفاهم . . . إنهم ، وقد صلح أمرهم ، مهذبون ، يملأ الخير نفوسهم ، ويصلحون للمراكز السامية .

الدوق : لقد ظفرت بما سألت ، فهأنذا أعفو عنهم وعنك . تصرف في أمرهم فأنت أعلم بأقدارهم . . . تعال ! هلم بنا ولنعزف جميع الالحان على السواء . . . ألحان الفوز والسعادة ، وأنغام الجد الذي لا يضارعه جد .

فالانتين : وفي أثناء انصرافنا سأتجاسر في حديثي لأجعل سموك تبتسم . . . ما رأيكم في هذا الغلام يا مولاي ؟ .

الدوق : أعتقد أن هذا الغلام خفة ورشاقة ، إن وجهه ليحمر حياء وخجلاً .

فالانتين : أؤكد لك يا مولاي أنه أجمل من أن يكون غلاماً . . .

الدوق : ماذا تعني بهذا الكلام .

فالانتين : إن أذنت لي فسوف أنبئك بخبره ونحن نمشي حتى تتعجب مما قد حدث . تعال يا بروتوس ، إن جزاءك أن تنصت إلي وأنا أروي قصة حبك التي أميط عنها

اللثام . . . . فإذا ما انتهيت من ذلك فإن
يوم زفافنا سيكون يوم زواجك أيضاً . . .
وليمة واحدة ومنزلاً واحداً ، وسعادة
متبادلة واحدة .

(يتوارون عن الأنظار في الطريق)

روائع شكسبير

* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجولييت
* سيدان من ڤيرونا
* حلم ليلة صيفية